

فكرة الجسد عند ميشيل فوكو

مذكرة مقدمة ضمن لنيل متطلبات شهادة الماستر

إعداد الطالبة:

بوعدي حورية

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

الصفة	الجامعة	اسم ولقب الأستاذ
رئيسا	جامعة المسيلة	ضيف الله الخوني
مشرفا ومقررا	جامعة المسيلة	خشعي عبد النور
مناقشا	جامعة المسيلة	بوراس يوسف

السنة الجامعية: 1445-1446 هـ / 2023-2024 م.

إهداء

إلى الأَجْسَادِ الَّتِي صَعِدَتْ أَرْوَاحَهَا إِلَى بَارئِهَا، الشُّهَدَاءِ فِي مَلْحَمَةِ "طُوفَانِ الْأَقْصَى".

شُهَدَاءِ مِحْوَرِ الْمَقَاوِمَةِ عَلَى طَرِيقِ الْقُدْسِ... الْأَكْرَمِ مِنَّا جَمِيعًا!....!

إِلَى وَالِدِي رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ

إِلَى وَالِدَتِي الْعَزِيزَةِ أَطَالَ اللَّهُ عُمْرَهَا

إِلَى الزَّوْجِ الْكَرِيمِ الْأُسْتَاذِ سَلَامِهِ الرَّزَّيْعِي

شُكْرٌ وَتَقْدِيرٌ

* كُلُّ شُكْرٍ لَا يَبْتَدِيءُ بِاللَّهِ لَا يُعَوَّلُ عَلَيْهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ فِي الْبَدْءِ عَلَى مَا كَانَ مِنْ بَدْءٍ، ثُمَّ

الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَنْتُمْ فَبَلَغَتْ بِفَضْلِهِ حَسَنَ مُحْتَئِمٍ

* الشُّكْرُ الْجَزِيلُ وَالْعِرْفَانُ إِلَى الدُّكْتُورِ "حَسَّيْ عَبْدِ النُّورِ" رَاعَى هَذَا الْعَمَلِ، اشْكُرْ

مُتَابِعَتُهُ وَنَصَائِحِهِ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِهِ.

* أَوْجُهُ شُكْرِي إِلَى مَنْ سَاعَدَنِي وَشَجَعَنِي الزَّوْجُ الْكَرِيمُ "سَلَامَةُ الزَّرِّي" ، الَّذِي رَافَقَنِي

فِي جَمِيعِ مَرَاكِلِ هَذَا الْبَحْثِ فَلَوْلَا مُتَابِرَتُهُ وَدَعْمُهُ مَا تَمَّ هَذَا الْعَمَلُ.

مُفَدِّمَةٌ

أَخَذَتْ الْإِنْشِغَالَاتِ الْفَلْسَفِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ، بِطَلْعِ الْإِخْتِلَافِ وَالْمُعَايِرَةِ فِي الطَّرْحِ وَالْبِنَاءِ، مَوْضُوعًا وَمَنْهَجًا وَأَسْلُوبًا وَمَعْنَى، لَمْ يَكُنْ لِشَيْءٍ إِلَّا عَلَى أَمَلِ مُحَاوَلَاتِ النُّفُوزِ أَوْ الْهُرُوبِ مِنْ مَازِقِ الْمَاضِي، بِإِبْجَادِ خُطُوطِ انْفِلَاتِ عَبْرِ النَّيِّهِ وَالتَّرْحَالِ إِلَى هَامِشِ الْفِكْرِ، بِالْحَفْرِ وَالنَّبْشِ عَلَى مَضَامِينِهِ وَاسْتِحْضَارِ اللَّامُفَكَّرِ فِيهِ صَوَّبِ الْبَحْثِ وَالِاسْتِكْشَافِ، لِيَكُونَ صَوَّبَ الْعَيْنِ وَالدَّرَاسَةِ، لَعَلَّ هَذِهِ الْعَمَلِيَّةُ بِمَا هِيَ دَعْوَةٌ إِلَى التَّغْيِيرِ عَلَى مَا جَرَى تَنَاوَلَهُ سَابِقًا، لَحْظَةً فَكْرِيَهُ انْقَضَتْ مُدْرَكَاتُهَا بِزَمَنِ أَوْ عَصْرِ آخِرِ ذَلِكَ أَنَّ الْفِكْرَ يَتَأَسَّسُ وَيَتَنَامِي وَعَيْهِ عَلَى مُسَبِّبَاتِ اللَّحْظَةِ.

بِهَذِهِ الْكَيْفِيَّةِ الَّتِي تَتِمُّ عَلَى صَيْرُورَةِ الْفَلْسَفَةِ وَفِعْلِ النَّقْلِيفِ، عَلَى أَنَّهُ يُعْبَرُ بِصُورَةٍ أَوْ بِأُخْرَى عَلَى فِكْرَةِ الْجَسَدِ، اسْتَنْبَتَتْ مِنْ رَحِمِ الْإِخْتِلَافِ وَالتَّغْيِيرِ لِمَا هُوَ قَائِمٌ عَلَى فَاعِلِيهِ إِبْثَاتِ الرَّاهِنِ الرَّافِضِ وَالْمُنَاهِضِ لِكُلِّ أَشْكَالِ الْمَاضِي وَتَقَالِيدِهِ، بِيَقِينِيَّتِهِ وَأَزَلِيَّةِ مُعْتَقِدَاتِهِ، فَتَارِيخُ الْفِكْرِ الْفَلْسَفِيِّ فِي تَمَرِّحَاتِهِ أَلْزَمِيَّهِ وَالْمُعَبَّرِ عَلَى كُلِّ فِتْرَةٍ فِيهِ بِمَنْظُومَةِ فَكْرِيهِ جَدِيدَةٍ، إِمَّا مُتَمَّمًا لِمَا جَرَى سَابِقًا أَوْ مُتَجَاوِزًا مِنْ مُنْطَلَقِ خَلْقِ الْبَدَائِلِ.

مِنْ هُنَا تَكْمُنُ أَهْمِيَّةُ انْشِغَالِنَا عَلَى هَذَا الْمَوْضُوعِ كَوْنِهِ، يَسْتَجِيبُ لَوَاقِعِيَّةِ الْفَلْسَفَةِ وَحَقِيقَتِهَا الَّتِي عَبَرَتْ عَنْهُ بِكَيْفِيَّاتِ ضَمْنِيَّةِ، نَسْتَشْفِهُهَا مِنْ خِلَالِ مَسَارِهِ الْفِكْرِيِّ الَّذِي تَمْظَهَرُ عِبْرَ تَارِيخِهِ الطَّوِيلِ اسْتِجَابَةً لِهَذِهِ السَّيْرُورَةِ الْحَرَكِيَّةِ الَّتِي انْزَلَقَ وَانْزَاحَتْ ضَمْنَهَا فِلْسَفَةُ " فَوْكُو "، هَذَا الْأَخِيرِ تَمَاشِيًا مَعَ مَنْطِقِ أُطْرُوحَتِهِ، الَّتِي تَدَافَعَتْ مَعَ مَضَامِينِ هَذِهِ الْفِكْرَةِ، أَيْنَ أَرَسَتْ ضَمْنَ ضَرُورَةِ الْعَمَلِ وَالِاسْتِغَالِ عَلَى تَجْدِيدِ مَسَارِ الْفَلْسَفَةِ فِكْرًا وَمَعْنَى، مِنْ مَسْعَى اقْتِنِضَاءِ الْحَاجَةِ، لِئِنَّكَ الضَّرُورَةَ الدَّفَاعِيَّةَ الَّتِي جَاءَتْ بِمُوجِبِ دَعَاوَى الْإِنْهَاءِ وَالرَّفْضِ لِحَقْلِ الْفَلْسَفَةِ ذَاتِهِ عَلَى فَرَضِ انْعِدَامِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا، اسْتِنْفَادِ طَاقَتِهَا الْمُسْتَكْمَلَةِ لِشُرُوطِ

بِقَائِهَا، نَظْرًا لِمَا حَقَّقْتُهُ فُرُوعَ مَعْرِفِيَّةٍ أُخْرَى عَلَى سَبِيلِ تَقَدُّمِ الْعِلْمِ بِتَطَوُّرَاتِهِ النَّقْيِيَّةِ الَّتِي مَسَّتْ مُمَكِّنَاتِ الْوُجُودِ الْبَسِيطِ وَالْمَعْقِدِ فَحَقُّ عَلَيْهِ تَقْوُّهُ عَلَى اسْتِنطَاقِهِ لِمَجَاهِيلِ الْجَسَدِ وَالْمَقْدِرَةِ عَلَى فَهْمٍ لِمَا يَحْدُثُ لِلْجَسَدِ مِنْ مُتَعَبِّرَاتٍ بِأَسَالِيبِ الْإِدْرَاكِ الْمُبَاشِرَةِ.

لِتَأْتِي رَدَّةُ الْفِعْلِ الْوَاعِيَّةِ، لِمَا جَرَتْ عَلَيْهِ الْمَضَامِينُ السَّابِقَةَ، عَلَى رَفْضِ تِلْكَ الدَّعَاوِي، بِدَحْضِهَا لِغَدَمِ ارْتِقَاءِ مُبَرَّرَاتِهَا عَلَى إِنْتَاجِ مَعْنَى صَائِبٍ، لَعَلَّ هَذَا مَا دَعَتْ إِلَيْهِ الْأَطْرُوحَةُ "الْفَوْكُوبِيَّة" الَّتِي سَعَى بِمَشْرُوعَةِ الْمَعْرِفِيِّ، عَلَى مَدَى اسْتِعَالِهِ بِالْإِعْلَاءِ مِنْ قِيَمَةِ الْفِكْرِ وَالتَّفْكِيرِ الْفَلْسَفِيِّ، الَّذِي هُوَ فِي دِفَاعِ مُسْتَمِيتٍ لَهُ وَلَا مَكَانِيَّةٍ تَوَاجُدُهُ وَتَحَقُّقِهِ مِنْ مَجْرَى تَأْكِيدِهِ عَلَى الطَّابِعِ وَالرَّاهِنِيِّ لِفِعْلِ الْفَلْسَفَةِ وَالتَّفَلُّسِ، بِدَأْ يَدْحُضُ مُزَاعِمَ التَّجَاوُزِ الَّتِي حَصَرَتْ الْفَلْسَفَةَ فِي صَوْمَعَةِ اللَّأ عَوْدِهِ، "الْمَوْتِ"، الَّتِي دَعَتْ بِكَيْفِيَّةِ الْحَالِ إِلَى ضِدِّيَّةِ نَقْدِيَّةٍ لَصُورَةِ الْفِكْرِ التَّقْلِيدِيَّةِ وَمُقْتَضِيَّاتِهِ، لِتَأْتِي الْبَدَائِلُ بِعَمَلِ تَقْوِيبِ تَشْبِيهًِا لِإِمْكَانِيَّةِ، لَتَحَقُّقِ الْخِطَابِ الْفَلْسَفِيِّ بِتَعَايِشِهِ مَعَ لَحْظَةِ الْوَحْدِ وَالَّتِي بِهَا تَحَقُّقُ مَطْلَبِ الْإِسْتِمْرَارِيَّةِ بِمَا تَعْمَلُ عَلَى خَلْقِ مُمَكِّنَاتِ الْحَيَاةِ الَّتِي تَحْيِلُ إِلَى صِفَةِ الْإِبْدَاعِ الَّذِي يَسْتَدْعِي التَّجْدِيدَ لِيُؤَكِّدَ عَلَى جَوْهَرِ الْإِخْتِلَافِ وَمَنْ هُنَا تَبْرُزُ إِشْكَالِيَّةُ مَوْضُوعِنَا:

كَيْفَ تَمَّظَهَرَتْ وَتَأَسَّسَتْ فِكْرَةَ الْجَسَدِ فِي فِلْسَفَةِ "مِيشيل فوكو" ؟ وَآلِي أَيِّ مَدَى اسْتِنطَاعِ دَحْضِ صُورِ التَّجَاوُزِ وَالْإِنْتِهَاءِ ؟ وَمَا هِيَ الْآلِيَاتُ الَّتِي عَالَجَ بِهَا إِشْكَالِيَّةَ الْجَسَدِ ؟ وَمَا الْجَدِيدُ الَّذِي تَتَاوَلُ مِنْ خِلَالِهِ الْجَسَدُ فِكْرِيًّا وَمَنْهَجِيًّا ؟

فِي خِضَمِّ هَذِهِ الْأَسْئَلَةِ وَمَا إِلَى غَيْرِهَا وَالَّتِي حَاوَلْنَا عَلَى قَدْرِ مَنْ بَسَاطَةِ الْإِيْجَازِ فِي تَقْرِيْبِ حُلُولِهَا لَدَيْنَا بِإِتْبَاعِنَا لِإِفْرَازَاتِ الْمَنْهَجِ التَّحْلِيلِيِّ وَالتَّأْرِيْخِيِّ الَّتِي فَرِضَتْ تَوَاجُدَهَا مِنْ خِلَالِ مَسَارِ اسْتِعَالِنَا بِمَنْ الْفَيْلَسُوفِ بِتَبَعِ مَضَامِينِ أُطْرُوحَتِهِ وَتَفْكِيكِ مَنْجَزَاتِهَا بِدَايَةِ مَنْ صِيْرُورَتِهِ الْمَرْجِعِيَّةُ إِلَى التَّأْسِيسِ الْفَلْسَفِيِّ عَبْرَ هَدْمِ صُورَةِ الْفِكْرِ الْكِلَاسِيْكِةِ بِمَسْلَمَاتِهَا الْوُثُوقِيَّةِ الْخَاضِعَةِ لِئِنِّيهِ التَّمَثُّلُ بِإِعَادَةِ بِنَاءِ الْهَدْمِ بِصُورَةِ فِكْرِ فِلْسَفِيِّ بُدَيْلٍ، الْقَائِمِ عَلَى

تَعَشَّقُ مُمَكِّنَاتِ الْحَيَاةِ وَالتَّجْرِبِ الَّتِي تُفَعِّلُ حَاجَاتِ الْإِبْدَاعِيِّ بِتَعْبِيرِيَّةٍ مَفْهُومِيَّةٍ
وَبخَلْقِ سِيرورِهِ حَرَكِيَّةٍ فِيهِ.

وَلَكِي نُحُورُ هَذَا الطَّرْحِ بِتَبْسِيطِ مَضَامِينِهِ أَكْثَرَ حَاولْنَا تَقْسِيمَ مَوْضُوعِ بَحْثِنَا الْمُتَوَاضِعِ إِلَى
خَطِّهِ مِنْ فَصَلَيْنِ انْطِلاقًا مِنَ الْمُقَدِّمَةِ إِلَى الْفَصْلِ الْأَوَّلِ كَمَا دَخَلَ مِنْهُجِي تَمْهِيدِي وَالَّذِي
تَضْمَنُ ثَلَاثَةَ مَبَاحِثٍ رَيْسِيَّةٍ تَتَاولْنَا فِيهِ مَقَارِبَةَ مِنْهُجِيَّةٍ اِحْتَوَتْ مَبَاحِثَ تَمَثَّلَتْ فِي أُطُرِ
تَارِيخِيَّةٍ تَجْرِيدِيَّةٍ بِأَلْيَاتٍ مِنْهُجِيَّةٍ، مَسْأَلَةَ مَفْهُومِيَّةٍ وَتَارِيخِيَّةٍ لِمَدْلُولِ الْجَسَدِ الَّذِي تَمْظَهَرُ
كَمَنْجَزٍ فُلْسَفِيٍّ تَرَاءَى بِمَنْطِقِ التَّجْدِيدِ فِي الْخِطَابِ الْفُلْسَفِيِّ عَبْرَ تَوَجُّهَاتٍ مَا بَعْدَ الْحَدَاثَةِ
لِتَسْتَبْعِ مَجْرِيَّاتِ الْفِكْرَةِ بِاِحْتِضَانِ "فوكو" لَهَا وَالَّتِي عَرَضْنَا فِيهَا مَرْجِعِيَّةَ الْفِيلْسُوفِ إِلَى تَدَاعِيَّاتِ
جَرَى تَأْطِيرِهِ هُوَ الْآخِرُ إِلَى ثَلَاثَةِ مَبَاحِثٍ تَتَاولْنَا فِيهَا مَرْجِعِيَّةَ الْفِيلْسُوفِ إِلَى تَدَاعِيَّاتِ
فُلْسَفَةِ الْاِحْتِلَافِ وَالَّتِي أَنْبِي عَلَيْهَا فَكْرَهُ الْفُلْسَفِيِّ إِلَى اسْتِنطَاقِ جَوَابِ مَا الْجَسَدُ؟ بِتَمَامِ
الْعَمَلِ انْتَهَى بِخَاتَمِهِ اسْتِخْلَصْنَا فِيهَا مَكَامِنَ الْبَحْثِ وَنَتَائِجَهُ.

مَهَّدَتْ لَنَا مَجْمُوعَةَ الدَّرَاسَاتِ الطَّرِيقَ لِفَهْمِ الْفِيلْسُوفِ "فوكو" وَاسْتِيعَابُهُ لِمَضَامِينِ الْفِكْرَةِ -
الْمُقَدِّمَةِ - بَدْءًا بِمَصَادِرِ الْفِيلْسُوفِ، وَالَّتِي كَانَتْ عَلَى أَهْمِيَّتِهَا نَذَكُرُ: تَارِيخَ الْجِنْسَانِيَّةِ ،
الْمُرَاقِبَةَ وَالْمُعَاقِبَةَ، وَوِلَادَةَ الْعِيَادَةِ، تَارِيخَ الْجُنُونِ...إِلَى جَانِبِ بَعْضِ الْمَرَاجِعِ الَّتِي كَانَتْ
عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ لَا الْحَصْرِ، فُلْسَفَةُ الْجَسَدِ لـ "سَمِيحَةَ بُوْدُوحِ"، صِرَاعِ الْجَسَدِ وَالْاِيدُولُوجِيَا
قِرَاءَاتِ نَقْدِيَّةٍ لـ "عَمْرُ صُوفِي"، وَالَّتِي كَانَتْ لَنَا مَرَاجِعَ أُسَاسِيَّةً لِمَا هِيَ شَامِلَةٌ وَمُحِيطَةٌ
لِأَعْمَالِ "فوكو" الْفُلْسَفِيَّةِ.

كَمَا لَمْ نُسَلِّمْ مِنْ مُوَاجَهَةِ بَعْضِ الصُّعُوبَاتِ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا خُصَّ قِلَّةُ الْمَادَّةِ الْمَعْرِفِيَّةِ
وَالْمُنْشَغَلِينَ بِفُلْسَفَةِ "فوكو"، لَعَلَّ هَذَا رَاجِعٌ إِلَى طَبِيعَةِ الْفِيلْسُوفِ بِحَدِّ ذَاتِهِ، إِذْ لَيْسَ بِالسَّهْلِ
بِمَكَانِ الْاِسْتِغَالِ عَلَى مَثَلِ "فوكو" وَالْاِحْاطَةَ بِمُجْمَلِ أَفْكَارِهِ الْمُتَشَعَّبَةِ، الصَّعْبَةَ الْفَهْمِ، فِي
هَذِهِ الْفَتْرَةِ الْوَجِيزَةِ، لَكِنْ رَغْمَ هَذِهِ الصُّعُوبَاتِ كَانَتْ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ مَحْفُزَةً لِلْبَحْثِ فِي فَكْرِ
هَذَا الْفِيلْسُوفِ لِاسْتِجْلَاءِ الْحَقِيقَةِ اعْتِمَادًا عَلَى أَعْمَالِهِ بِالذَّرَجَةِ الْأُولَى عَلَى أَمَلِ التَّوَسُّعِ فِي

أفاق البَحْثُ بِأَنَّ نَجْدَ لَهُ مَخَارِجَ أُخْرَى تَنْزِي بِهَا شُغْفُ النَّفْسِ صَوَّبَ فِكْرَ "فَوَكَّو"، بِمَحَاوَلِهِ
تَنْمُّ عَلَى تَبْسِيطِ الْقُدْرَةِ الْإِسْتِيعَابِيَّةِ لِمَا كَانَ لِهَذَا الْعَمَلِ مَرْجِعًا فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

الفصلُ الأوَّلُ: التَّأْصِيلُ الْمَنْهَجِيُّ لِفِكْرَةِ الْجَسَدِ "رُؤْيَا مَنْهَجِيَّةً"

تَمْهيد:

المَبْحَثُ الأوَّلُ: الإِطَارُ التَّارِيخِيُّ لِفِكْرَةِ الْجَسَدِ "رُؤْيَا تَارِيخِيَّةً"

المَبْحَثُ الثَّانِي: الإِطَارُ التَّجْرِيدِي لِفِكْرَةِ الْجَسَدِ "رُؤْيَا فَلَاسَفِيَّةً"

المَبْحَثُ الثَّالِثُ: مَنَاهِجٌ وَأَدَوَاتٌ عَمَلِيَّةٌ التَّحْلِيلِ "رُؤْيَا فَوَكَّوِيَّةً"

اسْتِنْتَاج:

الفصل الأول: التأسيس المنهجي لفكرة الجسد "رؤية منهجية"

تمهيد:

جسد الإنسان هو المكان الوحيد الذي تتقاطع فيه وحوله علومه وممارساته كلها، وكلُّ مُجْتَمَعٍ يُفْهَمُ جَسَدَ الْإِنْسَانِ عَلَى طَرِيقَتِهِ الْخَاصَّةِ، يَعْتَقِدُ بِأَنَّ أَجْسَادَهُمْ هِيَ "الْأَجْسَادُ الْحَقِيقَةُ"، هَذَا الْجَسَدِ الَّذِي خَلَقَ عَلَى الْهَيْئَةِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ تَكُونَ عَلَيْهَا الْأَجْسَادُ. مِنْ هُنَا تَظْهَرُ أَرْزَمَةُ الْجَسَدِ وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ حَكَائِنَا التَّارِيخِيَّةِ عَنِ الْجَسَدِ. شَكْلُ الْجَسَدِ عَلَى مَرِّ التَّارِيخِ الْإِنْسَانِيِّ مَادَّةٌ خِصْبَةٌ لِلنَّظَرِ وَالتَّأْوِيلِ الْفَلْسَفِيِّ وَالْإِجْتِمَاعِيِّ وَالْأَخْلَاقِيِّ فِي مُعْظَمِ الْفَلَسَفَاتِ الْقَدِيمَةِ وَالْحَدِيثَةِ لِمَا لَهُ مِنْ قُدْسِيَّةٍ وَطَهَارَةٍ فِي النَّظَرِ إِلَيْهِ، إِلَّا أَنَّهُ أَصْبَحَ فِيمَا بَعْدُ مَعَ تَقَدُّمِ وَتَطَوُّرِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَتَعَقُّدِ الْحَيَاةِ الْإِجْتِمَاعِيَّةِ مَحَوَّرًا لِتَخْصِصَاتٍ عَدِيدَةٍ، تَتَرَاوَحُ مَا بَيْنَ الْعُلُومِ التَّطْبِيقِيَّةِ وَالْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ، فَكَانَ ذَلِكَ حَافِزًا عَلَى تَنْوِيرِ وَتَطْوِيرِ مَنَاهِجِ الْبَحْثِ فِي هَذَا الْمَجَالِ عَلَى مُسْتَوَى التَّحْلِيلِ وَالتَّفْسِيرِ وَالتَّنْظِيرِ. لِيَكُونَ هَذَا الْمَوْضُوعُ أَصِيلًا فِي مَرَاكِزِ الْبُحُوثِ وَالرَّسَائِلِ الْعِلْمِيَّةِ الَّتِي عَالَجَتْ مَوْضُوعَ الْجَسَدِ. لَكِنْ قَبْلَ أَنْ نُنَاقِشَ مَوْضُوعَ فِكْرِهِ الْجَسَدِ عِنْدَ "مِيثِيل فوكو" وَجَبَ عَلَيْنَا تَوْضِيحَ مَفْهُومِ الْجَسَدِ، مِنْ خِلَالِ وَضْعِهِ فِي إِطَارِ مَرْجِعِيَّاتِهِ وَمُقَارَبَاتِهِ التَّارِيخِيَّةِ وَالْجِينِيَالُوجِيَّةِ وَالْمَفْهُومِيَّةِ الْمَجْرَدَةِ، لُغَةً وَمَعْجَمِيًّا، وَفُلْسَفِيًّا تَمْهِيدًا لِمَحَاوَلَةِ فَهْمِ رُؤْيَاةٍ وَتَحْلِيلِ "فوكو" لِفِكْرَةِ الْجَسَدِ.

المبحث الأول: الإطار التاريخي لفكرة الجسد "رؤية تاريخية"

المطلب الأول: المقاربات التاريخية

بَدَأَ اهْتِمَامَ الْفِكْرِ الْفُلْسُفِيِّ بِمَسْأَلَةِ الْجَسَدِ، عِنْدَمَا كَانَ فِي الْبِدَايَةِ، يَتِمُّ وَفْقَ مُقَارَبَةِ شُمُولِيَّةٍ، تَتَاوَلَتْ الْجَسَدَ دَاخِلَ قَضَايَا كُبْرَى تَتَعَلَّقُ بِالْأَخْلَاقِ وَالْجَمَالِ وَالذِّينِ.

المُقَارَبَةُ الكلاسيكية: عِنْدَمَا نَعُودُ إِلَى الْفِكْرِ الْإِغْرِيْقِيِّ مَعَ أَفْلَاطُونِ، وَيَشْكَلُ خَاصُّ فِي مُحَاوَرَةِ "فِيدُون" سَنَجِدُ حُضُورَ الْجَسَدِ فِي مُقَابِلِ النَّفْسِ. صُورٌ فِي النَّفْسِ بِاعْتِبَارِهَا قَادِرَةٌ عَلَى الْقِيَامِ بِمَهَامِّ الْعَقْلِ عِنْدَمَا تَكُونُ بَعِيدَةً عَنِ الْأَمِّ الْحَوَاسِّ أَوْ اللَّذَّةِ وَتَكُونُ قَائِمَةً بِذَاتِهَا حِينَمَا تَكُونُ قَدْ انْفَصَلَتْ عَنِ الْجَسَدِ¹.

إِنِ الْمُقَارَبَةُ الكلاسيكية لِلْجَسَدِ جُعِلَتْ مِنْهُ شَيْءٌ عَرْضِيٌّ فِي مُقَابِلِ النَّفْسِ الَّتِي تَبْقَى خَالِدَةً فِي الْعَدِيدِ مِنَ التَّقَاتِ الْقَدِيمَةِ، وَالْأَمْرُ نَفْسَهُ يَحْضُرُ وَيَشْكَلُ قَوِيٌّ، فِي فُلْسَفَةِ الْقُرُونِ الْوُسْطَى، لَحْظَةً هَيْمَنَةَ الْكَنِيسَةِ عَلَى الْفِكْرِ فِي أُورُوبَا، تَجَسَّدَ فِي مَنْظُورِ الدِّيَانَاتِ لِلْجَسَدِ، حَيْثُ اعْتَبَرْتَهُ مَصْدَرَ الرَّذِيلَةِ وَالْخَطَايَا وَكُلُّ مَا هُوَ مَكْرُوهٌ.

المُقَارَبَاتُ الْفُلْسُفِيَّةُ الْمُعَاصِرَةُ: غَيْرَ أَنْ الْمُهْتَمَّ بِالْمُقَارَبَاتِ الْفُلْسُفِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ، الَّتِي سَعَتْ بِالْأَسَاسِ إِلَى تَفْكِيكِ الْإِرْثِ الْفِكْرِيِّ وَالْفُلْسُفِيِّ التَّقْلِيدِيِّ، وَنَقَدَهُ، لَا يُمَكِّنُ لَهُ إِلَّا أَنْ يُقَرَّ بِالذُّورِ الْكَبِيرِ الَّذِي لَعِبَهُ الْفِيلْسُوفُ الْفَرَنْسِيُّ "مِيشيل فُوكُو" فِي مُقَارَبَتِهِ لِقَضَايَا فُلْسُفِيَّةٍ عَدِيدَةٍ جَعَلْتَهُ يُصَنِّفُ ضِمْنَ أَهَمِّ فَلَاسِفَةٍ مَا بَعْدَ الْحَدَاثَةِ.

بُرُوزِ اسْمِ "فُوكُو": حَيْثُ بَرَزَ اسْمُ "فُوكُو"، عَلَى السَّاحَةِ الْفِكْرِيَّةِ بِشْكَلٍ بَارِزٍ وَقَوِيٍّ، بَعْدَ صُدُورِ كِتَابِهِ "تَارِيخُ الْجُنُونِ فِي الْعَصْرِ الْكِلَاسِيكِيِّ عَامَ 1961م" وَكِتَابَةِ وِلَادَةِ الْعِيَادَةِ عَامَ 1963م، وَكِتَابِ الْكَلِمَاتِ وَالْأَشْيَاءِ عَامَ 1966م، وَحَفْرِيَّاتِ الْمَعْرِفَةِ عَامَ 1969م، وَنِظَامِ الْخِطَابِ عَامَ 1971م، وَتَارِيخِ الْجِنْسَانِيَّةِ فِي ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ وَكِتَابِ الْمُرَاقَبَةِ وَالْمُعَاقَبَةِ عَامَ 1965م.

¹ أفلاطون، محاوره فيدون (في خلود النفس)، ترجمه عزه قرني، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 3، 2002م، ص 31

الجسد يخرق مؤلفاته: إن الحديث عن الجسد في فلسفة "فوكو" هو حديث يخرق جميع مؤلفاته، حيث جعل "فوكو" مفهوم الجسد والسلطة الخط الناظم لكل كتاباته، وفق منهج أركيولوجي، خضع فيه البني الثقافي والديني والسياسي والمنتحل الجماعي للنقد، مستفيداً من الاتجاهات النقدية المؤسسة لفلسفة ما بعد الحداثة، خاصة مع "نيتشه" و"هيدوگر" و"هوسرل" وآخرون...، مكنه ذلك من النظر إلى الجسد نظره مختلفة بشكل جلي عن الأدبيات التقليدية، حيث تحول الجسد مع "فوكو" من موضوع لا شأن له إلى جسد حاضر بشكل قوي في قلب المجتمع السياسي والمعرفي.

في القرون الوسطى: رأى "فوكو" في كتابه تاريخ الجنون، أن القرون الوسطى حددت لجسد المجنون موقعا ضمن تراثية الرذائل في ظل ثنائية، الإيمان - الوثنية، الأمل - اليأس، الإحساس - البخل، الطهارة - الجنون، الصبر - الغضب، اللبونة - الصلابة، التوافق - الاختلاف¹. فالجنون ينظر إليه كمتحكم في كل حالات الضعف التي تمص الجسد الإنساني " كالكسل واللذة والنسيان والرخاوة والطيش.

هذا التصور الكلاسيكي تناول مسألة جنون الجسد وفق مقارنة تراجيدية، ستتلاشى حسب "فوكو" مع بروز المجتمع النقدي نهاية القرن السادس عشر ليصبح الجنون مرتبط بالعقل داخل علاقة أبدية لا فكاك منه. حيث سيتم التعامل فيما بعد مع الجنون كجزء من إجراءات العقل والحقيقة والعمل وأصبح يرسم صورة مألوفة في المشهد الاجتماعي، وهنا رأي "فوكو" بأن ولادة العيادة والإصلاحات كمؤسسات لاحتجاز الجسد المجنون، ما هو إلا تجسيد للإقصاء الذي تتعرض له هذه الأجساد التي لم تتمكن من الاندفاع داخل المجتمع.

¹ ميشيل فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ترجمه، سعيد بن كراد، المركز الثقافي العربي، 2006م، ط1،

هَذَا مَا دَفَعَ "فُوكُو" إِلَى تَفْكِيكِ مُخْتَلَفِ الْعَلَاقَاتِ وَالتَّمَثَلَاتِ السَّائِدَةِ دَاخِلِ الْمُجْتَمَعِ، مِمَّا مَكَّنَهُ مِنْ اسْتِنْتَاكِ مَسْأَلَةٍ مُهِمَّةٍ تَتَجَلَّى فِي ارْتِبَاطِ الْجَسَدِ بِثَنَائِيَّةِ "حُبِّ الْعَقْلِ، وَحَبِّ اللَّأَعْقَلِ"¹.

الْجَسَدِ وَقَوَاعِدِ الْعَائِلَةِ: حَيْثُ إِنَّ الْجَسَدَ الَّذِي تَمَرَّدَ عَنِ ضَوَابِطِ وَقَوَاعِدِ الْعَائِلَةِ مَثَلًا، فِي مُمَارَسَتِهِ لِلْجِنْسِ سَمَّى جَسَدًا مَجْنُونًا وَإِنَّ الْجَسَدَ السَّلِيمَ النَّزِيهَ هُوَ الْجَسَدُ الَّذِي يَسْتَجِيبُ لِلْمُقَدَّسِ مِنْ خِلَالِ تَأْسِيسِ الْعَائِلَةِ. هَذَا حَسَبَ "فُوكُو" مَا سَيُودِي إِلَى بُرُوزِ ثَنَائِيَّةِ، "الشَّاذِّ وَالْعَادِي الصِّحَّةِ وَالْمَرَضِ". سَتُؤَسِّسُ هَذِهِ الثَّنَائِيَّةُ لظُهُورِ أَخْلَاقِيَّاتٍ وَقِيَمٍ تُصَبِّ كُُلُّهَا فِي غَايَةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ ضَبْطُ الْجَسَدِ وَالتَّحْكُمُ فِيهِ هَذَا مَا يُفَسِّرُ الْعِقَابَ الَّذِي تَعَرَّضَ لَهُ الْجَسَدُ فِي التَّارِيخِ الْبَشَرِيِّ. وَهُنَا رَبطَ "فُوكُو" بَيْنَ مَفْهُومِ الْجَسَدِ وَالسُّلْطَةِ مِنْ خِلَالِ "الإِبَسْتِيمِي" épistémè السَّائِدِ فِي كُلِّ مَرَحَلَةٍ. هَذَا التَّحْكُمُ فِي الْجَسَدِ سَيَجِدُ أَسَّسَهُ حَسَبَ "فُوكُو" فِي الْمَرْجِعِيَّاتِ وَالضَّمَانَاتِ التَّارِيخِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ وَالَّتِي تَحْمِيهِ وَتَقْوِيهِ. خَاصَّةً مَا سَمَّاهُ بِالتَّارِيخِ الْإِجْتِمَاعِيِّ لِأَنَّمَاطِ الْإِنْتِجَاعِ السَّائِدَةِ فِي الْقَرْنِ السَّابِعِ عَشَرَ وَالتَّحَوُّلَاتِ الَّتِي رَافَقَتْ الْمُجْتَمَعِ الْبُرْجُوزِيَّ².

الْجَسَدِ وَالتَّفْكِيكِ النَّقْدِيِّ: إِنَّ الْجَسَدَ وَفَقَ هَذَا التَّفْكِيكِ النَّقْدِيِّ الَّذِي قَامَ بِهِ "فُوكُو" مَحْكُومًا عَلَى رَغْبَاتِهِ وَلِدَاتِهِ بِالْقَمْعِ وَالْمَنْبَعِ وَاللَّا وَجُودِ، فَكُلُّ مَا حَاوَلَ الْإِنْسَانُ أَنْ يُعْبِرَ عَنْ لِدَاتِهِ وَطَمَوحَاتِهِ وَمَوَاقِفِهِ وَمُقَاوِمِ لِكُلِّ مَا هُوَ مَأْلُوفٌ سَيَجِدُ نَفْسَهُ فِي وَضْعِيَّةٍ تُحِيطُ بِهَا كُلُّ الْفُيُودِ لِضَبْطِهِ وَمُعَاقِبَتِهِ وَقَدْ يَصِلُ الْأَمْرُ إِلَى قَتْلِهِ بِاعْتِبَارِهِ جَسَدًا غَيْرَ مَرْغُوبًا فِيهِ، وَخَارِجَ طَاعَةِ السُّلْطَةِ الْقَائِمَةِ، لِأَنَّ هَذِهِ الطَّاقَاتِ الْجَسَدِيَّةَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا مِنْ طَرَفِ السُّلْطَةِ بِاعْتِبَارِهَا طَاقَاتٍ غَيْرِ نَافِعَةٍ وَغَيْرِ مُنْتَظَمَةٍ. هَذَا الْقَمْعُ يَرِيطُهُ "فُوكُو" بِكُلِّ الْعَلَاقَاتِ الْمَادِيَّةِ وَالْخَفِيَّةِ دَاخِلِ

¹ المرجع نفسه، ميشيل فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ص 113

² ميشيل فوكو، الجنسانية، إرادة العرفان، المجلد 1، ترجمه محمد هاشم، أفريقيا الشرق، 2004م، ص 7

المُجْتَمَع، فَالْجَسَدُ مُتَحَكِّمٌ فِيهِ كَذَلِكَ بِالْمَعْرِفَةِ الَّتِي مَلَكَهَا وَتَكُونُهَا حَوْلَ الْجَسَدِ مِنْ خِلَالِ
الْخِطَابَاتِ السَّائِدَةِ حَوْلَهُ.

المُعْجَمُ الْأَخْلَاقِيُّ المتداول: وَهَذَا سَيَتَّبَعُ مِنْ خِلَالِ الْمُعْجَمِ الْأَخْلَاقِيِّ الْمُتَدَاوِلِ حَوْلَ
الْجِنْسَانِيَّةِ وَتِلْكَ الْقِيُودِ الَّتِي تُرْسَمُ حُدُودَ وَزَمَنَ الْحَدِيثِ عَنْهَا وَالْأَمَاكِنَ الْمُنَاسِبَةَ لِذَلِكَ وَالْغَيْرِ
مُنَاسِبَةَ فَضْلًا عَنِ الْحَسَاسِيَّةِ الَّتِي يَطْرَحُهَا الْحَدِيثُ عَنِ الْجَسَدِ بَيْنَ "الْأَبِ وَالْإِبْنَةِ، الْأُمِّ
وَالْإِبْنِ، وَالْمُرَيِّ وَالتَّلْمِيذِ، وَبَيْنَ الْأَسْيَادِ وَالْخُدَّامِ"، وَبِالتَّالِيِ فَإِنَّ السُّلْطَةَ الَّتِي تُمَارَسُ عَلَى
الْأَجْسَادِ تُوْجَدُ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَمُنْتَشِرَةٌ فِي كُلِّ الْعَلَاقَاتِ.

بِهَذَا الْمَعْنَى يُصْبِحُ الْجَسَدُ عِنْدَ "فوكو" هُوَ هَدَفُ السُّلْطَةِ. اسْتَفَادَتْ الْعَدِيدُ مِنَ الْمُقَارَبَاتِ
مِنْ هَذَا التَّحْلِيلِ النَّقْدِيِّ الَّذِي قَدَّمَهُ "فوكو" وَمِنْ أَهْمِّهَا الْمُقَارَبَاتِ النَّسَبِيَّةِ وَالْجِنْسَانِيَّةِ الَّتِي
تُوكِّدُ عَلَى أَنَّ الْقُرَارَاتِ وَالخِطَابَاتِ السِّيَاسِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ تَرَكَتْ أَثْرًا وَاضِحًا عَلَى الْجَسَدِ
الْأَنْثَوِيِّ.

وَهَذَا مَا يَدْفَعُنَا إِلَى مَا سَمَّاهُ "فوكو" بِفَحْصِ أَفْكَارِنَا وَخِطَابَاتِنَا وَهُوَ يَقُولُ "أَفْحَصُوا إِذَا
بِعِنَايَةِ كُلِّ مَلَكَاتِ أَنْفُسِكُمْ وَالدَّائِرَةَ وَالْفَهْمَ الْإِرَادَةَ وَافْحَصُوا أَيْضًا بِدِقَّةِ كُلِّ حَوَاسِكُمْ وَأَفْكَارِكُمْ
وَكُلِّ كَلَامِكُمْ وَكُلِّ أَفْعَالِكُمْ وَرَوِّكُم"¹.

الْجَسَدِ وَالسُّلْطَةُ الْمُمَارَسَةُ: حَيْثُ إِنَّ السُّلْطَةَ الْمُمَارَسَةَ هُنَا عَلَى الْجَسَدِ لَيْسَتْ سَلْطَةَ
الْمُؤَسَّسَاتِ فَقَطْ كَمَا اعْتَقَدَتِ الْبِنْيَوِيَّةُ بَلْ السُّلْطَةُ بِمَعْنَاهَا "الْمَيْكرو- فِيزِيَائِي"، إِذْ أَنَّ
اللَّأَوْعَى الْفَرْدِيَّ أَصْبَحَ هُوَ الْمُرَاقِبِ لِسُلُوكَاتِ الْجَسَدِ، بَعْدَ أَنْ تَرَسَّخَتْ فِيهِ كُلُّ إِشْكَالِ
الْقِيُودِ وَالْإِنْضِبَاطِ عَبْرَ الْعُقُوبَاتِ الَّتِي تُمَارَسُ عَلَى الْأَجْسَادِ النَّائِرَةِ وَالْمُقَاوَمَةِ لِلسُّلْطَةِ،
لِتَتَرَسَّخَ لَدَى الْجَسَدِ صُورٌ عَنِ الْعِقَابِ وَالْمُرَاقَبَةِ وَالضَّبْطِ تَوَجَّهَ تَصَرُّفَاتِهِ، دُونَ أَيِّ تَدَخُّلٍ
لِلسُّلْطَةِ بِمَعْنَاهَا الْمَادِّيِّ. فَالْجَسَدُ مَثَلًا، عِنْدَمَا يَخْرُجُ مِنَ السَّجْنِ كَمُؤَسَّسَةٍ عِقَابِيَّةٍ يَتَحَوَّلُ

¹المرجع نفسه، ميشيل فوكو، الجنسانية، إرادة العرفان، ص 17

إلى مراقب لذاته ولكل حركاته، لتصبح المراقبة عادة مألوفة مُرسخة في لا وعي الجسد. وهذه هي الغاية التي تسعى إليها السلطة، أن يتحول الجسد إلى مراقب لذاته ومُعاقب لها. نتيجة الإستراتيجيات السلطوية الموجهة لتصرفات الجسد.

مراكز الضغط الاجتماعي: ذلك أن مراكز الضغط الاجتماعي تتحدد حسب "فوكو" على شكل شبكة كثيفة من العلاقات المتداخلة التي تلعب خلالها المؤسسات كقطاع التعليم أو القطاع الطبي أو القانوني أو القضائي... بالإضافة إلى التقنيات والقدرات العلمية والفنية. ومراكز السلطة على اختلاف مستوياتها الفوقية والتحتية دورًا هامًا وفعالًا في توجيه المجالات المعرفية والخطابية التي تتصل بها بشكل أو بآخر وذلك بتقديم بعض الخيارات الراجحة من مجمل الاختيارات الإستراتيجية الممكنة¹.

إن هذا العمل الذي قام به "فوكو" في نقده للأسس الأركيولوجية التي تقوم عليها الثقافة والسلطة الغربية عبر مساراتها المختلفة امتداد لما قامت به الفيلسوف الألمانية "حنة أرندت" وهو ما نجده حاضرًا كذلك عند "أدورنو" وأجيال "مدرسة فرانكفورت" في بعدها النقدي خاصة مع "يورغن هابرماس"، لكن ما يميز "ميشيل فوكو" في هذا السياق هو عدم الاكتفاء بنقد النظريات والمفاهيم العامة التي كانت سائدة في كل مرحلة وإنما في تقديمه لنماذج وتجارب واقعية يبين من خلالها حجم الهيمنة الممارسة على الأجساد مثل "الجئون، والمرض، والجنس، والسجن..."

المطلب الثاني: المقاربات الجنيولوجية

1. الجسد بين الحلم والرؤية:

حلل "فوكو" نصوصاً فريدة، أدبية وغيرها في العصر الكلاسيكي، للممارسة والحياة اليومية، نصوصاً ليس للتفكير أو للتقنيين، الأخلاقي، يوضح النص ترسيمات تقديرية

¹محمد علي الكردي، نظرية المعرفة والسلطة، عند ميشيل فوكو، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992م،

تَقْتَرِبُ مِنَ الْمَبَادِئِ الْعَامَّةِ فِي الْمَرْحَلَةِ الْكَلَّاسِيكِيَّةِ. يُؤَكِّدُ طَرِيقَهُ جَارِيَةً وَمَأْلُوفَةً لِلتَّفَكِيرِ وَمِنْ حَيْثُ إِنَّهُ كَذَلِكَ فَإِنَّهُ سَيَسْمَحُ بِقِيَاسِ مَا كَانَ قَرِيدًا أَوْ جَدِيدًا جُزْئِيًّا فِي نَفْسِ الْمَرْحَلَةِ فِي عَمَلِ التَّفَكِيرِ الْفَلْسَفِيِّ وَالطَّبِيِّ حَوْلَ الْمَتَعِ وَالسُّلُوكِ الْجَنَسِيِّ¹. النُّصُوصِ الْأَدَبِيَّةِ لَا تَخْلُو مِنَ التَّفَكِيرِ الْفَلْسَفِيِّ فَهِيَ تَقُومُ عَلَى الْجِدَالِ الْمُنْهَجِيِّ وَالتَّحْلِيلِ. فِيهَا إِحَالَاتٌ كَافِيَةٌ الْوُضُوحِ عَلَى مُشْكَلَاتٍ وَجِدَالَاتٍ مُعَاصِرَةٍ وَلَكِنَّهَا تَتَعَلَّقُ بِإِجْرَاءَاتِ الْكَشْفِ وَمَنْهَجِ التَّحْلِيلِ لَا بِأَحْكَامِ الْقِيَمَةِ وَالْمَضَامِينِ الْأَخْلَاقِيَّةِ.

يَتَعَارَضُ الْحُلْمُ مَعَ الرُّؤْيَةِ فَالْأَوَّلُ يَتَكَلَّمُ عَنِ الْفَرْدِ وَالثَّانِي عَنِ أَحْدَاثِ الْعَالَمِ أَحَدُهُمَا وَهُوَ الْحَلْمُ يُشْتَقُّ مِنْ حَالَاتِ الْجَسَدِ وَالنَّفْسِ وَالْآخِرُ وَهُوَ الرُّؤْيَةُ يَسْتَتِقُّ جَرِيَانِ سِلْسِلَةِ الزَّمَنِ أَحَدُهُمَا (الْحُلْمُ) تَجَلَّى لِلْعَبِّ الْكَبِيرِ وَالْقَلِيلِ فِي نِظَامِ الشَّهِيَاتِ وَالْإِشْمِزَاتِ وَالْآخِرُ يَشِيرُ إِلَى النَفْسِ فِي ذَاتِ الْحِينِ يَشْكَلُهَا. فَمِنْ جِهَةٍ فَإِنْ أَحْلَامِ الرِّغْبَةِ تَقُولُ (تَعْبِرُ) وَأَقْعُ النَّفْسِ فِي حَالَتِهَا الرَّاهِنَةِ وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى فَإِنْ رَوَى الْكَائِنِ تَقُولُ مُسْتَقْبَلِ الْحَدَثِ فِي نِظَامِ الْعَالَمِ.

يَسُوقُ "فوكو" الْحُلْمَ وَالرُّؤْيَةَ بِغَرَضِ تَوْضِيحِ وَظِيْفَةِ كُلِّ مَنْ الْحُلْمُ وَالرُّؤْيَةُ حَيْثُ إِنَّ الْحُلْمَ يَتَكَلَّمُ عَنِ الْفَرْدِ وَيُعَبَّرُ عَنِ حَالَاتِ الْجَسَدِ وَالنَّفْسِ مِنْ خِلَالِ لَعْبَةِ الْكَثِيرِ وَالْقَلِيلِ فِي نِظَامِ الشَّهِيَاتِ وَالْإِشْمِزَاتِ بَيْنَمَا الرُّؤْيَةُ تَتَكَلَّمُ عَنِ أَحْدَاثِ الْعَالَمِ وَمِنْ زَاوِيَةٍ أُخْرَى تُوجَّهُ النَّفْسُ وَتُعِيدُ صِيَاغَتِهَا.

تَخْتَلِفُ الرُّؤْيَةُ عَنِ الْحُلْمِ فَهَذَا الْآخِيرُ يُتَرَجَّمُ الْعَوَاطِفَ الرَّاهِنَةَ لِلْحَالِمِ، تِلْكَ الَّتِي تُرَافِقُ النَّفْسَ سِبَاقِهَا، فَعِنْدَمَا نَكُونُ مَغْرَمِينَ فَإِنَّا نَرْعَبُ فِي حُضُورِ الْمَوْضُوعِ الْمَحْبُوبِ وَبِالْتَّالِيِ فَتَحْنُ نَحْلَمُ بِأَنَّهُ هُنَا وَالَّذِي يَخْشَى أَعْدَائِهِ يَحْلُمُ بِأَنَّهُمْ يُحِيْطُونَ بِهِ إِنْ لِهَذَا الشَّكْلِ مِنَ الْحُلْمِ قِيَمَةٌ تَشْخِيصِيَّةٌ بَسِيْطَةٌ، فَهِيَ تَقُومُ فِي الرَّاهِنَةِ (مِنْ الْحَاضِرِ إِلَى الْحَاضِرِ) وَتَفْصَحُ لِلنَّائِمِ

¹ ميشال فوكو: تاريخ الجنسانية، الجزء الثالث، الإنشغال بالذات، الفصل الثاني: الحلم بالمتع، دار النشر، أفريقيا الشرق، المغرب، 2004م ص 05

عَنْ حَالَتِهِ الْخَاصَّةِ وَهِيَ تُتَرْجَمُ مَا هُوَ فِي نِظَامِ الْجَسَدِ نَقْصٍ وَإِفْرَاطٍ وَمَا هُوَ فِي نِظَامِ
النَّفْسِ خَوْفٍ أَوْ رَغْبَةٍ¹.

بِمَعْنَى أَنَّ الْحُلْمَ يُتَرْجَمُ الْجَانِبَ الْكَمِّيَّ فِي نِظَامِ الْجَسَدِ نَقْصٍ وَإِفْرَاطٍ، وَفِي نِظَامِ النَّفْسِ
يُتَرْجَمُ كَيْفِيَّةً كَالْخَوْفِ أَوْ الرَّغْبَةِ.

يَتَّفِقُ الْحُلْمُ مَعَ الرُّؤْيَا مِنْ خِلَالِ تَمَيُّزٍ آخَرَ يَتَجَلَّى أَنَّهُ يُمَكِّنُ لِلْحُلْمِ أَنْ يَظْهَرَ بِصُورَةٍ مُبَاشِرَةٍ
الْمَوْضُوعِ الْمَعْنَى وَيُمَكِّنُ أَنْ يَظْهَرَ صُورًا أُخْرَى لَهَا عِلَاقَةٌ بِالْمَوْضُوعِ الْمَعْنَى بِشَكْلِ غَيْرِ
مُبَاشِرٍ وَنَفْسِ الشَّيْءِ نَجْدُهُ فِي الرُّؤْيَا وَبِالْمَثَلِ فَإِنَّ هُنَاكَ اخْتِلَافًا مُمَازِيًا فِي رُؤْيِ الْحَدَثِ
فَقَدْ تُشِيرُ الرُّؤْيَا مُبَاشِرَةً إِلَى مَا يُوجَدُ سَلْفًا عَلَى نَمَطِ الْمُسْتَقْبَلِ وَيُمَكِّنُ أَنْ تُعَبِّرَ الرُّؤْيَا عَنْ
حَدَثٍ مُسْتَقْبَلِي بِصُورَةٍ غَيْرِ مُبَاشِرَةٍ أَيْ مَجَازِيًا.

الْجَسَدُ وَالنَّفْسُ: نِظَامُ الْجَسَدِ وَنِظَامُ النَّفْسِ، مَا دَامَ أَنَّ الْحُلْمَ يُتَرْجَمُ نِظَامَ الْجَسَدِ وَنِظَامَ
النَّفْسِ فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ التَّمْيِيزُ بَيْنَ الْجَسَدِ وَالنَّفْسِ فَفَوَكَو يُرْبِطُ بَيْنَهُمَا. النَّفْسُ الْفَاضِلَةُ تَحَلَّمُ
لِأَنَّهَا تَتَحَكَّمُ فِي أَهْوَائِهَا كَالرَّغْبَةِ وَالْخَوْفِ وَهِيَ تُعْرِفُ كَيْفَ تُحَافِظُ عَلَى جَسَدِهَا فِي التَّوَازُنِ
بَيْنَ النَّقْصِ وَالْإِفْرَاطِ وَبِالتَّالِي لَيْسَ هُنَاكَ اضْطِرَابَاتٌ فَالشَّبْهَ لِهَذِهِ النَّفْسِ الْفَاضِلَةِ.²

بِمَعْنَى أَنَّ الْجَسَدَ لَا يَحْتَاجُ لِلتَّعْبِيرِ عَنِ النَّقْصِ وَالْإِفْرَاطِ مِنْ خِلَالِ الْحُلْمِ لِكَوْنِ نَفْسِهِ
فَاضِلَةً تُحَافِظُ عَلَى تَوَازُنِ جَسَدِهَا (اعْتِدَالِهِ).

إِنَّ النَّفْسَ الْفَاضِلَةَ تُحَافِظُ عَلَى تَوَازُنِ جَسَدِهَا بَيْنَ النَّقْصِ وَالْإِفْرَاطِ فَلَيْسَ لَهَا اضْطِرَابَاتٌ
وَالْأَحْلَامَ الَّتِي يَجِبُ أَنْ تَفْهَمَ دَائِمًا عَلَى أَنَّهَا أَفْصَاحَاتٌ عَلَى مُوَشِّرَاتٍ وَلَعَلَّهَا كَانَتْ
مَوْضُوعَةً مُتَوَازِرَةً جِدًّا عِنْدَ الْأَخْلَاقِيِّينَ.

¹ المرجع نفسه، ميشال فوكو: تاريخ الجنسانية، الجزء الثالث، الإنشغال بالذات، الفصل الثاني، 2004م ص12

² المرجع نفسه، ميشال فوكو: تاريخ الجنسانية، الجزء الثالث، الإنشغال بالذات، الفصل الثاني، ص14

الاهتمام والاعتناء بالنفس والجسد: كُلُّ النَّاسِ يَرْعَبُونَ بِأَنْ يَعِيشُوا حَيَاةً فَضْلِي لِأَنَّهُمْ يُدْرِكُونَ أَيَّ يَعْرِفُونَ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ عَضْوًا آخَرَ لِلْحَيَاةِ غَيْرِ النَّفْسِ وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْتَنُونَ بِهَا. وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ أَيَّ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ لَهُ بَصَرٌ ثاقِبٌ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَنِيَ بِالْعَيْنَيْنِ اللَّتَانِ تُسْتَخْدَمَانِ لِلرُّؤْيَةِ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَكُونَ خَفِيفِي الْحَرَكَةِ فِي الْعَدُوِّ فَإِنَّهُ يَجِبُ الْإِعْتِنَاءُ بِالرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ يُسْتَخْدَمَانِ لِلْجَرِيِّ... وَنَفْسِ الشَّيْءِ يَجْرِي عَلَى كُلِّ أَجْزَاءِ الْجِسْمِ الَّتِي يَجِبُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ أَنْ يَعْتَنِيَ بِهَا حَسَبَ أَفْضَلِيَّتِهِ.

الاهتمام بالذات لا يتطلب موقفًا عامًا أو انتباهًا منتشرًا. الوقت ليس فارغًا فهو مليءٌ بالتمرينات والمهام العملية والأنشطة المتنوعة فالاهتمام بالذات ليس وظيفة عاطلة فهناك العناية بالجسد وحميات الصحة والتمارين الرياضية بلا إفراط والإشباع المعتدل بقدر الإمكان للحاجيات. حول العناية بالذات تطوّر نشاط كاملٌ من الكلام والكتابة ارتبط فيه عملُ الذاتِ على الذاتِ بالتواصل مع الآخرين¹.

نقطة الاتصال بين النفس والجسد: هذه كنقطة ضعفٍ في الفردِ يُتَّجَهُ الْإِنْتِبَاهُ الَّذِي يُؤَلِّي لِلْإِضْرَارِ وَالتَّوَعُّكَاتِ وَالآلَامِ الْجَسَدِيَّةِ، فَالْجَسَدُ الَّذِي عَلَى الرَّاشِدِ أَنْ يُهْتَمَّ بِهِ عِنْدَمَا يَنْشَغِلُ بِنَفْسِهِ لَمْ يَعُدْ هُوَ الْجَسَدُ الشَّابُّ الَّذِي كَانَ الْأَمْرُ يَتَعَلَّقُ بِتَكْوِينِهِ بِوَسِطَةِ الرِّيَاضَةِ الْبَدَنِيَّةِ بَلْ إِنَّهُ جَسَدٌ هَشٌّ مُهَدَّدٌ بِالْأَمْرَاضِ الصَّغِيرَةِ وَالَّذِي يُهَدِّدُ النَّفْسَ لَا بِمُنْتَطَبَاتِهِ الْقَوِيَّةِ إِنَّمَا بِضَعْفِهِ الْخَاصِّ... وَتَقَدَّمَ رَسَائِلُ

مكانه الجسد في الذات: فَقَدْ بَيَّنَّ الْمَكَانَ الَّذِي يَحْتَلُّهُ هُمُ الْجَسَدِ فِي هَذِهِ الْمُمَارَسَاتِ لِلذَّاتِ وَلَكِنْ أَيْضًا أُسْلُوبَ هَذَا الْإِهْتِمَامِ: الْخَوْفُ مِنَ الْإِسْرَافِ اقْتِصَادِ الْحَمِيَّةِ الْإِنْصَاتِ إِلَى الْإِضْطِرَابَاتِ، الْإِنْتِبَاهِ الْمَفْصَلِ لِلْخَلَلِ الْوُظَيْفِيِّ الْإِهْتِمَامِ بِكُلِّ الْعَنَاصِرِ (الفصل، المناخ، التَّغْذِيَّةِ، نَمَطِ الْحَيَاةِ) الَّتِي يُمَكِّنُهَا أَنْ تَضْطَرِبَ الْجَسَدُ وَمِنْ خِلَالِهِ النَّفْسُ أَيْضًا.

¹ ميشال فوكو: تاريخ الجنسانية، الجزء الثاني، استعمال بالمتع، ترجمة، محمد هشام، دار النشر، أفريقيا الشرق، المغرب، 2004م ص52

إِنَّ أخطرَ الأمراضِ الجسديَّةِ هيَ تلكَ التي كما في الصرع والسكتة الدماغية لا يدرك فيها المريضُ حالته، أمَّا الأخطرُ في أمراضِ النفسِ فهوَ أنَّها تمرُّ من غيرِ أن يَنبَته إليها بل إنَّها يُمْكِنُ حتَّى إنَّ يَنْظُرُ إليها كفضائل (الغضبُ كشجاعة الولع الغرامي كصدافة الرغبة كمنافسة الجبن كحذر)¹.

الهيئة الجسديَّة: هناك تزايد لكلِّ ما يَسمحُ للفردِ بتثبيت هويته من جهة وضعه والعناصر التي تُفصِحُ عنه بالطريقة الأكثرَ مرتبةً فالفردُ يَبْحَثُ عن أن يكونَ مطابقًا قدرِ الإمكانِ لوضعِه الخاصِّ بمجموعِ كاملٍ من العلاماتِ والآثارِ التي تتعلَّقُ بالهيئة الجسديَّة، واللِّباسِ والسَّكنِ بحركاتٍ بسخاءٍ وأسرافٍ بتصرفاتٍ إنفاقٍ.... الخ

مُفارقة النفس والجسد: تبدو- إخضاع النفس وحولها تمثلاً للجسد- قضيةً مُفارقةً إذا فكرنا في الموضوع التقليديَّة بأنَّ النفسَ لا يَنبغي أن تترك ذاتها تجرُّفها متطلِّباتِ الجسدِ. إلاَّ أنَّه يَجِبُ فهمُها في سياقها النظريِّ والطبيِّ الدقيقِ بأنَّ الخُضوعَ الإراديَّ للجسدِ يَنبغي أن يفهمَ على أنَّه يُفيدُ الإصغاءَ لعقلِ حُكمِ إدارةِ النظامِ الطبيعيِّ وأعدَّ لمقاصده ميكانيكي الجسدِ.

2. الجسد بين المتع والنفس:

المتع والجسد: المتع هي أفعالٌ وحركاتٌ واتِّصالاتٌ وأعمالٌ توفِّرُ شكلاً مُعيَّناً من المتعة من التَّجني أن نَصِفَ بالإفراطِ بعضَ المتع التي نحسُّها على سطحِ الجسدِ كالمُتَعِ النَّبيلةِ التي تُحدِثُها التَّمسيداتُ والحرارةُ في الملعبِ الرياضيِّ لأنَّ عندَ الشبقي لا يَنتشِرُ اللَّمسُ بواسطة كلِّ الجسدِ بل إنَّه لا يَتعلَّقُ إلاَّ ببعضِ الأجزاء. وستكونُ إحدى الخصائصِ المُميِّزةِ للتَّجربةِ المسيحيَّةِ للشَّهوةِ الجسديَّةِ ثمَّ للجسانيَّةِ. نخلُصُ إلى أن المتع لدى اليونان كانت مُرتبطةً بالشَّبَقِ وُلدَ المسيحيين مُرتبطةً بالشَّهوةِ الجسديَّةِ².

¹ المرجع نفسه، ميشال فوكو: تاريخِ الجسناية، الجزء الثاني، استعمال بالمتع، ص 59

² ميشال فوكو: تاريخِ الجسناية، الجزء الثاني، استعمال بالمتع، ترجمة، محمد هشام، دار النشر، أفريقيا

تَكْمُنُ خَصَائِصَ أَخْلَاقِ الشَّهْوَةِ الْجَسَدِيَّةِ فِي فَكِّ الرِّبَاطِ بَيْنَ الرِّغْبَةِ وَالْمُتَعَّةِ إِذَا كَانَتْ الْمَسِيحِيَّةُ الرَّعَائِيَّةُ تَرَى بِأَنَّ مَنْ اللَّأ أَخْلَاقِ اعْتِبَارِ اللَّذَّةِ كَغَايَةِ لِلْمُمَارَسَةِ الْجِنْسِيَّةِ، يُسْتَنْتَجَ مِنْهُ "فوكو" صُعُوبَةُ مَوْضِعِهِ الْمُتَعَّةِ فِي تَصَوُّرِ الْجِنْسَانِيَّةِ. تُشَكِّلُ تَجْرِبَةُ الْمُتَعَّةِ لَدَى "فوكو" "الْفِعْلُ وَالرِّغْبَةُ وَالْمُتَعَّةُ" مَجْمُوعِهِ يُمَكِّنُ لِعُنَاصِرِهِ إِنْ تَتَّمَايَزُ وَلَكِنَّهَا تَرْتَبِطُ بِقُوَّةٍ مَعَ بَعْضِهَا الْبَعْضُ فَالْتَّرَابُطُ الْوَثِيقُ بِالذَّاتِ هُوَ الَّذِي يُحَدِّدُ إِحْدَى الْخَصَائِصِ الْجَوْهَرِيَّةِ فِي الشَّكْلِ مِنْ النِّشَاطِ¹.

الْجَسَدُ وَالْحِرْمَانُ: لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ هُنَاكَ رَغْبَةً إِلَّا فِي النَّفْسِ لَدَى الْيُونَانِ وَعَالِبًا الرِّغْبَةَ هِيَ دَائِمًا فِي الشَّيْءِ اللَّطِيفِ فِي نَظَرِ الْيُونَانِ وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ هُنَاكَ رَغْبَةً دُونَ حِرْمَانِ وَلَكِنْ الشَّهْوَةُ لَا يُمَكِّنُهَا أَنْ تَنَارَ إِلَّا بِتَمَثُّلِ أَوْ ذَكَرَ الشَّيْءِ الَّذِي يُمَتَّعُ، وَهَذَا بِأَنَّهُ لَا تَكُونُ هُنَاكَ رَغْبَةً إِلَّا فِي النَّفْسِ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ الْجَسَدُ مُصَابًا بِالْحِرْمَانِ فَإِنَّ النَّفْسَ هِيَ الَّتِي يُمَكِّنُهَا بِالْتَّذْكَيرِ، أَنْ تَجْعَلَ الشَّيْءَ الْمَرْغُوبَ فِيهِ حَاضِرًا، وَمِنْهُ يُسْتَنْتَجُ "فوكو" إِنْ نِظَامِ السُّلُوكِ الْجِنْسِيِّ لَدَى الْيُونَانِ مَوْضُوعُ تَفْكِيرِ أَخْلَاقِيٍّ لَيْسَ هُوَ بِدِقَّةِ الْفِعْلِ ذَاتِهِ². كَمَا يَعْتَقِدُ "فوكو" بِأَنَّ الْعِلَاقَةَ الَّتِي تَرْتَبِطُ بَيْنَ الْفِعْلِ وَالْمُتَعَّةِ وَالرِّغْبَاتِ انْطَوَلُوجِيَّةً، قُوَّةٌ بِمِثَابَةِ

الْمُتَعَّةِ طَابَعَهَا دُونِي، دُونِيَّةً، انْطَوَلُوجِيَّةً وَنَوْعِيَّةً لِأَنَّهَا مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ، تَتَوَقَّفُ الْمُتَعَّةُ عَلَى الْجَسَدِ وَضُرُورَاتِهِ أَيْ أَنَّهَا هِيَ مَا تَحْتَاجُ لِلْجَسَدِ فَلَا مُتَعَّةَ دُونَ جَسَدٍ. وَلِأَنَّهَا تَهْدِفُ إِلَى اسْتِرْجَاعِ الْعُضْوِيَّةِ لِحَالَتِهَا السَّابِقَةِ عَلَى الْحَاجَةِ. فَالْحَيَوِيَّةُ الطَّبِيعِيَّةُ لِلْمُتَعَّةِ هِيَ الَّتِي بِسَبَبِهَا نُنْزَعُ لِلذَّهَابِ إِلَى مَا وَرَاءَ الْحَاجِيَّاتِ وَالِاسْتِمْرَارُ فِي الْبَحْثِ عَنِ الْمُتَعَّةِ حَتَّى بَعْدَ اسْتِرْجَاعِ الْجَسَدِ لِحَالَتِهِ الطَّبِيعِيَّةِ. فَالْقُوَّةُ الْمُفْرِطَةُ لِلْمُتَعَّةِ تَجِدُ مَبْدَأَهَا فِي الْمَذْهَبِ الْمَسِيحِيِّ لِلشَّهْوَةِ الْجَسَدِيَّةِ فِي السُّقُوطِ وَالْخَطِيئَةِ الَّتِي تُسَمَّى الطَّبِيعَةَ الْبَشَرِيَّةَ. أَمَّا

¹ المرجع نفسه، ميشال فوكو: تاريخ الجنسية، الجزء الثاني، استعمال بالمتع، ص 41

² المرجع نفسه، ميشال فوكو: تاريخ الجنسية، الجزء الثاني، استعمال بالمتع، ص 42

بِالنَّسْبَةِ لِلْفِكْرِ الْيُونَانِيِّ الْكِلَاسِيكِيِّ فَإِنَّ هَذِهِ الْقُوَّةَ بِالطَّبِيعَةِ مُفْرِطَةً كُثُونًا وَتَكُونُ الْمَسْأَلَةُ الْأَخْلَاقِيَّةَ هِيَ مَعْرِفَةُ كَيْفَ يَنْبَغِي مُوَاجَهَةَ هَذِهِ الْقُوَّةَ وَكَيْفَ تَنْبَغِي السَّيْطَرَةَ عَلَيْهَا¹.

تُتَبَعُ فَوْكُو التَّارِيخُ الطَّوِيلُ لِلْجِنْسَانِيَّةِ وَفِي أَدَقِّ تَفَاصِيلِهِ فِي تَفْكِيرِ يُونَانِيِّ الْمَرْحَلَةُ الْكِلَاسِيكِيَّةِ... "إِلَّا شَكْلَهُ الْأَخْلَاقِيَّةَ وَالنَّشَاطَ الْجِنْسِيَّ"، إِنَّمَا تَمَّتْ بِطَرِيقِهِ مُنْتَشَابَةً بِمَا فِيهِ الْكِفَايَةُ... كُلُّهَا تُطْرَحُ نَفْسُ السُّؤَالِ الْمُتَمَثِّلَ فِي كَيْفَ يُمَكِّنُ وَكَيْفَ يَجِبُ اسْتِعْمَالُ هَذِهِ الدِّيْنَامِيَّةِ لِلْمَتَعِ وَالرَّغَبَاتِ؟ أَتَهُ سُّؤَالُ الْإِسْتِعْمَالِ الْجَيِّدِ هَذِهِ الْعِبَارَةَ صَاغَهَا "فَوْكُو" وَأَوَّلَهَا لِلْسُّؤَالِ السَّابِقِ...

نَخْلُصُ إِلَى أَنَّ "فَوْكُو" اسْتَعْرَضَ بِالتَّدرِيجِ الْمُملِّ (الْفِعْلُ ، الْمَتَعُ ، الرَّغْبَةُ) وَكَيْفِيَّةَ عَمَلِهَا بِشَكْلِ مُشْتَرَكٍ عَلَى الْجَسَدِ . . وَصُورًا إِلَى الْإِسْتِعْمَالِ الَّذِي يُجِيبُ عَلَى كَيْفَ نَحْصُلُ عَلَى مَتَعْنَا كَمَا يَجِبُ؟

الْإِسْتِعْمَالُ لِلْمَتَعِ: يَعْنِقُدُ "فَوْكُو" بِأَنَّ التَّفْكِيرَ الْأَخْلَاقِيَّ حَوْلَ الْمَتَعِ هُوَ أَقْلٌ بِكَثِيرٍ مِنْ مُدَوَّنَةٍ مِمَّنْهَجِهِ تَضْبِطُ الْأَفْعَالَ الْجِنْسِيَّةَ. وَإِنَّمَا هِيَ مَسْأَلَةٌ جِدْرِيَّةٌ وَتَفْكِيرٌ وَحِسَابٌ فِي الطَّرِيقَةِ الَّتِي تُرَاقِبُ بِهَا وَتُوَزَّعُ بِهَا أَفْعَالِنَا وَإِذَا كَانَ يَجِبُ احْتِرَامُ قَوَانِينِ وَأَعْرَافِ الْبَلَدِ وَالْإِمْتِنَاعُ عَنِ الْإِسَاءَةِ إِلَى الْآلِهَةِ وَالْإِحَالَةُ عَلَى مَا تُرِيدُهُ الطَّبِيعَةُ فَإِنَّ الْقَوَاعِدَ الْأَخْلَاقِيَّةَ الَّتِي يَتِمُّ الْخُضُوعُ لَهَا هِيَ أَبْعَدُ مَا تَكُونُ عَمَّا يُمَكِّنُ أَنْ يُشْكَلَ خُضُوعًا لِمُدَوَّنَةٍ مَعْرِفَةٌ بِدِقَّةٍ².

تَكْمُنُ إِسْتِرَاتِيجِيَّةُ اسْتِعْمَالِ الْمَتَعِ: إِسْتِرَاتِيجِيَّةُ الْحَاجَةِ، إِسْتِرَاتِيجِيَّةُ اللَّحْظَةِ، إِسْتِرَاتِيجِيَّةُ الْوَضْعِ، إِنَّ هَذِهِ الْإِسْتِرَاتِيجِيَّةَ تَسْمَحُ بِتَخَاشِي الْإِفْرَاطِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ عِلْمَةٌ إِقَامَتُهُ فِي الْحَاجَةِ وَلِهَذَا السَّبَبِ يُمَكِّنُ أَنْ يَتَّخِذَ شَكْلَيْنِ، إِفْرَاطٌ يُمَكِّنُ الْقَوْلُ عَنْهُ بِالْوَفْرَةِ أَوْ الْمِلءِ الَّذِي

المرجع نفسه،¹ ميشال فوكو: تاريخ الجنسانية، الجزء الثاني، استعمال بالمتع، ص 49

المرجع نفسه،² ميشال فوكو: تاريخ الجنسانية، الجزء الثاني، استعمال بالمتع، ص 53

يَمْنَحُ لِلْجَسَدِ كُلِّ الْمَتَعِ الْمُمْكِنَةَ حَتَّى قَبْلَ أَنْ يَشْعُرَ بِالْحَاجَةِ إِلَيْهَا، وَبِهَذَا الشَّكْلِ فَإِنَّهُ يَخْلُقُ حَتَّى الْإِحْسَاسَ بِالْمَتَعَةِ، وَهُنَاكَ إِفْرَاطٌ يَنْتُجُ عَنِ الْأَوَّلِ يُمَكِّنُ اعْتِبَارَهُ بِالْمُصْطَنَعِ¹.

الضَّبْطُ لِلْمَتَعِ: "فَوَكَّو"، يَتَمَيَّزُ الضَّبْطُ بِشَكْلِ فَاعِلٍ لِلتَّحَكُّمِ فِي الذَّاتِ وَيَضْمَنُ السَّيْطَرَةَ عَلَى الذَّاتِ فِي مِيدَانِ الرَّغَبَاتِ وَالْمُتَعِ. . وَعَلَى آيَةِ حَالٍ فَلَفْظُ الضَّبْطِ يَبْدُو أَنَّهُ يُحِيلُ بِصِفَةِ عَامَّةٍ إِلَى دَيْنَامِيَّةِ سَيْطَرَةِ الذَّاتِ عَلَى الذَّاتِ وَعَلَى الْجُهْدِ الَّذِي تَتَطَلَّبُهُ السَّيْطَرَةُ.

وَبِهَذَا فَقَدْ افْتَرَحَ "فَوَكَّو" تَمَازِيزًا بَيْنَ الْجُزْءِ مِنَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُسَيَّرَ وَالْجُزْءِ الْمُسَيَّرِ عَلَيْهِ وَلَكِنَّهُ يَتَسَاءَلُ هَلْ هِيَ أَجْزَاءٌ مِنَ النَّفْسِ يَنْبَغِي أَنْ تُحْتَرَمَ فِيهَا بَيْنَهُمْ عَلاَقَةٌ تَرَاتِبِيَّةٌ مُعَيَّنَةٌ أَمْ هُمَا جَسَدٌ وَنَفْسٌ كَمَفْهُومَيْنِ ذَوِي أَصْلٍ مُخْتَلَفٍ وَاللَّذِينَ يَجِبُ عَلَى أَحَدِهِمَا أَنْ يَتَحَرَّرَ مِنَ الْآخَرِ أَمْ قُوَّتَانِ تَتَجَهَّانِ نَحْوَ أَهْدَافٍ مُخْتَلَفَةٍ وَتَعَارُضُ الْوَاحِدَةِ مِنْهُمَا الْآخَرَى كَحِصَانِي مُقَرَّنٍ وَاحِدٍ².

الْحُرِّيَّةُ وَالْحَقِيقَةُ: السَّيْطَرَةُ عَلَى الْمَتَعِ وَإِخْضَاعِهَا لِمَبْدَأِ "اللُّوْغُوسِ" لَا يُشْكَلَانِ إِلَّا نَفْسُ الشَّيْءِ الْوَاحِدِ. إِشْكَالُ عَلاَقَةِ "اللُّوْغُوسِ" فِي الْمُمَارَسَةِ: شَكْلٌ بَنِيَوِي، شَكْلٌ أَدَاتِي، شَكْلٌ التَّعَرُّفِ عَلَى الذَّاتِ بِالذَّاتِ، تُشْكَلُ الْحَقِيقَةُ عُنْصُرًا جَوْهَرِيًّا فِي الْإِعْتِدَالِ فَهِيَ ضَرُورِيَّةٌ مِنْ أَجْلِ الْإِسْتِعْمَالِ الْمَتَرَنِ لِلْمَتَعَةِ وَضَرُورِيَّةٌ لِلسَّيْطَرَةِ عَلَى عُنْفِهَا أَنَّهَا عَلاَقَةٌ مُشْكَلَةٌ لِنَمَطِ وَجُودِ الذَّاتِ الْمَعْتَدَلَةِ، فَهِيَ لَا تَتَكَافَى بِالنَّسْبَةِ لِلذَّاتِ مَعَ وَجُوبِ قَوْلِ الْحَقِيقَةِ عَنْ نَفْسِهَا، كَمَا أَنَّهَا لَا تَفْتَحُ النَّفْسَ كَمِيدَانٍ لِمَعْرِفَةٍ مُمَكِّنَةٍ، بَلْ إِنَّ عَلاَقَةَ الذَّاتِ بِالْحَقِيقَةِ هِيَ شَرْطٌ بَنِيَوِي أَدَاتِي وَأَنْطُولُوجِي لِقِيَامِ الْفَرْدِ كذَاتٍ مُعْتَدَلَةٍ، أَنَّ "فَوَكَّو" لَمْ يَنْطَلِقْ مِنْ نَظَرِيَّاتٍ عَامَّةٍ لِلْمَتَعَةِ وَإِنَّمَا مِنْ مُمَارَسَاتٍ مَوْجُودَةٍ³.

¹ المرجع نفسه، ميشال فوكو: تاريخ الجنسية، الجزء الثاني، استعمال بالمتع، ص 56

² المرجع نفسه، ميشال فوكو: تاريخ الجنسية، الجزء الثاني، استعمال بالمتع، ص 67

³ المرجع نفسه، نفسه، ميشال فوكو: تاريخ الجنسية، الجزء الثاني، استعمال بالمتع، ص 91

نخلص إلى أن الاشكلة والقلق كان يسيران بسكّل متساو ومتواز مع التساؤل واليقظة، على هذا الأساس اقترحت كل حركة التفكير الأخلاقي والطبي والفلسفي أسلوبًا معينًا من السلوك الجنسي، مختلف عن ذلك الذي كان قد يم في القرن الرابع، هكذا ارتسمت فنون العيش في تهذيب فنون العيش والانشغال بالذات بعض القواعد التي تبدو قريبة من تلك التي ستوجد صياغتها في الأخلاقيات اللاحقة.

المبحث الثاني: الإطار التجريدي لفكرة الجسد "رؤية فلسفية"

الجسد، لغويًا، معجميًا، فلسفيًا:

يضع التعريف اللغوي لمفهوم الجسد بين أيدينا مفاتيح وتمايزات متعدّدة في الوعي اللغوي للجسد وتجلياته. وردّ في لسان العرب "مفهوم الجسد" أي جسم الإنسان ولا يقال لغيره من الأجسام المتعدّية ولا يقال لغير الإنسان، جسد من خلق الأرض، والجسد البدن تقول منه: تجسد كما تقول من الجسم: تجسم.... وأن تكون راجعة إلى الجسد وجمعه أجساد وقال بعضهم في قوله عجلًا جسدًا، قال: أحمر من ذهب؛ وقال أبو إسحق في تفسير الآية الكريمة: الجسد هو الذي لا يعقل ولا يميز إنما معنى الجسد معنى الجنة¹.

وفي المعجم الفلسفي يقول الجرجاني "الجسم قابل للأبعاد الثلاثة"²، وقيل: "الجسم هو المركب المؤلف من الجوهر"، وقد عرفه عبد الرحمن بدوي فقال "هو الموجود ذو الأبعاد الثلاثة الطول، العرض، العمق للجسم مقدار حجم، وشكل، وثقل، وكثافة، وهو إما في

¹ ابن المنظور: لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، دار المعارف، القاهرة، (د)، (ت)، ص 622

² عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 1984، ص 439

حَرَكَهَ وَأَمَّا فِي سُكُونِ، لَهُ خَصَائِصَ كَهَرَبَائِيَّةٍ، وَمُغْنَاطِيْسِي، وَكِيْمِيَائِيِه، وَضُوئِيَّة، وَسَمْعِيَّة، وَحَرَارِيَّة¹.

وَنْتَهِي بِرَأْيِي "أَنْدَرِيَه لِأَلَانْد" الَّذِي عَرَفَهُ عَلَيَّ أَنَّهُ "كُلُّ غَرَضٍ مَادِّيٍّ يَكُونُهُ إِدْرَاكِنَا؛ أَيُّ كُلِّ مَجْمُوعَةٍ كَيْفِيَّاتٍ نَتَمَثَّلُهَا مُسْتَقَرَّةً، مُسْتَقَلَّةً عَنَّا، وَوَاقِعَةً فِي الْمَكَانِ، مِنْ خَوَاصِّهَا الْأَسَاسِيَّةِ الْمَدَى الثَّلَاثِيَّ الْأَبْعَادِ، وَالْكَتْلَةَ، بِنَحْوِ خَاصِّ الْجِسْمِ الْبَشَرِيِّ مُقَابِلِ الرُّوحِ. وَحَوْلِ الْجِسْمِ مَعَ اللَّغَةِ، وَالْفِكْرِ الْعَفْوِيِّ، يَجِبُ تَمْيِيزُ الظَّوَاهِرِ الْمُدْرَكَةِ لِلْأَجْسَامِ بِالْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّ مِنْ هَذِهِ الزَّوَايَةِ يَجْرِي تَصَوُّرُ الْجِسْمِ كَأَنَّهُ مَجْمُوعَةٌ طَبِيعِيَّةٌ مِنْ ظَوَاهِرٍ مُتَكَافِئَةٍ كَمَجْمُوعَةٍ مُتْرَابِطَةٍ، أَوْ مُسْتَقَرَّةً عَلَيَّ الْأَقْلِّ مَجْمَعِ أَشْيَاءٍ يُوقِّرُهَا الْإِدْرَاكُ"².

أَمَّا الْجَسَدُ فَلُفْسَفِيًّا، فَقَدْ شَكَلَ انْدِمَاجَ الْجَسَدِ فِي التَّجْرِبَةِ الْوُجُودِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ وَالتَّعْبِيرِيَّةِ الْمُعَاَصِرَةَ مُنْعَطَفًا فِكْرِيًّا وَفُلْسَفِيًّا تَجَاوَزَ مِنْ خِلَالِهِ حُدُودَ الثَّنَائِيَّةِ، لِيَتَحَوَّلَ فِيهِ الْجَسَدُ إِلَى مَوْضُوعِ فِكْرِيٍّ وَفُلْسَفِيٍّ فِي مَجَالِ الذَّاتِيَّةِ بِوَصْفِهَا مَقُولَةً مِنْ حُدُودِ الثَّنَائِيَّةِ، لِيَتَحَوَّلَ فِيهِ الْجَسَدُ إِلَى مَوْضُوعِ فِكْرِيٍّ وَفُلْسَفِيٍّ فِي مَجَالِ الذَّاتِيَّةِ بِوَصْفِهَا مَقُولَةً مُحَدَّدَةً لِلذَّاتِ، وَالْأَنَا وَالشَّخْصُ فِي الْوُجُودِ مَا يَعْنِي حَقَّ الْجَسَدِ فِي الْوُجُودِ بِاعْتِبَارِهِ ظَاهِرُهُ تَتَحَدَّدُ بِذَاتِهَا لَا بِغَيْرِهَا، لَكِنْ لَمْ يَرْقَى الْجَسَدُ إِلَى مُسْتَوَى الْمَوْضُوعِ الْفِكْرِيِّ مَعَ ظُهُورِ فُلْسَفَاتِ الذَّاتِ سِوَاءَ كَانَتْ عَقْلَانِيَّةً أَوْ مِنْ خِلَالِ التَّصَوُّرِ الْفِينُومِينُولُوجِيِّ لِلْجَسَدِ كَمَا تَبْلُورُ مَعَ "هُوسَّرْل"، وَ"مِيرْلُوبُونْتِي"، وَ"بُولُ رِيكُور"، بِهَذَا الْمَعْنَى تَرْتَبِطُ فِكْرُهُ الْجَسَدِ ارْتِبَاطًا وَثِيقًا، بَلْ حَتْمِيًّا بِضُرُورَةِ الْحَدَاثَةِ الْفِكْرِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ وَبِالْأَخْصِ بِجَوَانِبِهَا الْأَكْثَرِ ابْتِعَادًا عَنِ الْعَقْلَانِيَّةِ سِوَاءَ كَانَتْ "دِيكَارْتِيَّةً" أَوْ مَنطِقِيَّةً تَحْلِيلِيَّةً؛ أَيُّ إِنَّ النِّفْكَيرِ فِي الْجَسَدِ مُرَادِفُهُ هُوَ النِّفْكَيرِ حَوْلِ الذَّاتِ وَالهُويَّةِ³.

¹ المرجع نفسه، عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، ص 439

² أندريه لالاند: موسوعة لالاند A-G، منشورات عويدات، بيروت، ط 1، 1993، ص 231

³ فريد الزاهي: الجسد والصورة والمقدس في الإسلام، أفريقيا الشرق، بيروت، ط 1، 1999، ص 24-26

وَفِي هَذَا السِّيَاقِ سَوْفَ نَعْتَمِدُ عَلَى الآرَاءِ الْفَلْسَفِيَّةِ وَمِنْهَا رَأَى فَيَلْسُوفِ الْجَسَدِ، "مُوريس ميرلوبونتي" بِاعْتِبَارِهَا مِنْ أَهَمِّ مَا كَتَبَ فِي هَذَا السِّيَاقِ. وَقَبْلَ ذَلِكَ نَنْطَلِقُ لِرُؤْيَا مِنْ زَاوِيَةِ اجْتِمَاعِيَّةٍ وَثَقَافِيَّةٍ وَصَوْلًا إِلَى فَيْلسُوفِ الْجَسَدِ "ميرلوبونتي".

المفهوم السوسولوجي للجسد:

لَمْ يَكُنْ الْجَسَدُ كَمَوْضُوعِ مَعْرِفَةٍ سُوْسِيُولُوجِيَّةٍ يَحْطَى بِمَكَانِهِ مُحَوَّرِيهِ حَتَّى حُدُودِ السَّنِّيَّاتِ مِنْ الْقَرْنِ الْمَاضِي، بَلْ عَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ كَانَ حُضُورُهُ لَا يَتَجَاوَزُ الْحُضُورَ الْمُضَمَّرَ الْاِفْتِرَاضِي، كَمَا قَالَ عَالِمُ الْاجْتِمَاعِ الْفَرَنْسِيَّ "جُون مِيثِيل" كَانَ الْجَسَدُ مَادَّةَ سُوْسِيُولُوجِيَّةٍ خَافَتَهُ، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْجَسَدَ كَانَ يُطْرَحُ إِشْكَالِيَّاتٍ كُبْرَى فِي الْيَوْمِيِّ وَالْوَقْعِيِّ وَكَذَلِكَ الطَّبِّيِّ، لَكِنْ ظَلَّ مَسْكُوتًا عَنْهُ وَلَمْ يَلْقَ حَقَّهُ مِنْ الْبَحْثِ وَالتَّحْلِيلِ فِي السُّوسِيُولُوجِيَا الْكَلَّاسِيكِيَّةِ فَالْجَسَدُ كَانَ الْحَاضِرُ الْغَائِبُ فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ¹.

يَتَحَدَّدُ الْجَسَدُ انْطِلَاقًا مِنْ وَاقِعَتَيْنِ أُسَاسِيَّتَيْنِ: الْأُولَى، وَاقِعَةُ اجْتِمَاعِيَّةٍ بِمَعْنَى أَنَّ الْجَسَدَ هُوَ مُنْتُجِ اجْتِمَاعِيٍّ بِامْتِيَازٍ؛ أَيِ إِنْ "عِلْمُ الْاجْتِمَاعِ يُنْظَرُ إِلَى الْجَسَدِ عَلَى أَنَّهُ مُنْتُجِ اجْتِمَاعِيٍّ يَتَشَكَّلُ بِالْقِيَمِ وَالْمَعَايِيرِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ السَّائِدَةِ عَنِ الْجَسَدِ". أَمَّا الثَّانِيَّةُ، فَهِيَ وَاقِعَةُ أَنْثْرُوبُولُوجِيَّةٍ عَلَى اعْتِبَارِ أَنَّ الْجَسَدَ يَتَعَلَّقُ بِحَيَاةِ الْإِنْسَانِ بِشَكْلِ عَامٍّ. إِذَنْ، الْجَسَدُ يَتَحَدَّدُ انْطِلَاقًا مِنْ الْأُمُورِ الْبِيُولُوجِيَّةِ وَالْعَضُويَّةِ وَالْفِيْزِيَايَّةِ، وَلَكِنَّهُ بِالرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ مُنْتُجِ اجْتِمَاعِيٍّ. وَلَكِنْ كَيْفَ يَتَحَدَّدُ الْجَسَدُ بِوَصْفِهِ مُنْتُجَا اجْتِمَاعِيًّا ؟

إِنَّ الْجَسَدَ مِنْذُ مِيلَادِهِ فِي التَّارِيخِ لَمْ يَسْبِقْ لَهُ أَنْ وَجَدَ مُجَرَّدًا مِنَ النِّظَامِ الثَّقَافِيِّ وَالْاجْتِمَاعِيِّ فِي اللَّحْظَةِ الَّتِي أُعْلِنَ فِيهِ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ مُخْتَلَفٌ عَنِ الْحَيَوَانَاتِ كَانَ دَائِمًا مُرْتَبِطٌ بِخَلْفِيهِ ثَقَافِيَّةً أَيَّ لَا وُجُودَ لِجَسَدِ طَبِيعِيٍّ حُرٍّ، فَحُرِّيَّةُ الْجَسَدِ هِيَ خُرَافَةٌ. وَبِذَلِكَ

¹ خديجة تباري: سوسولوجيا الجسد عند بيير بورديو، الجسد والرياضة وسلطة الهايتوس، سلسلة الأنوار، الجزائر، المجلد: 13،

نَنْظُرُ إِلَى الْجَسَدِ بِاعْتِبَارِهِ حَامِلًا لِلتَّقَاةِ بِشَكْلِ مَلْمُوسٍ؛ بِمَعْنَى أَنَّ الْوُجُودَ التَّارِيخِيَّ لِلْجَسَدِ هُوَ كَانَ دَائِمًا وَجُودًا تَقَافِيًّا وَلَا وَجُودَ لْجَسَدِ بَرِيءٍ بَرَاءةً تَقَافِيَّةً¹.

تُخَصِّصُ التَّصَوُّرَاتُ التَّقَافِيَّةُ وَالْإجْتِمَاعِيَّةُ لِلْجَسَدِ وَضْعًا مُحَدَّدًا فِي دَاخِلِ الرَّمْزِيَّةِ الْعَامَّةِ لِلْمُجْتَمَعِ؛ فَهِيَ تُسَمَّى الْأَجْزَاءَ الْمُخْتَلِفَةَ الَّتِي تَوَلَّفَهُ وَالْوُضَائِفِ الَّتِي تَقُومُ بِهَا، كَمَا تَوْضَحُ عِلَاقَاتِهَا، وَتَنْفُذُ إِلَى الدَّخْلِ غَيْرِ الْمُرْتَبِيِّ لِلْجَسَدِ لِتُودِعَ فِيهِ صُورًا دَقِيقَةً، وَتَحَدِّدُ مَوْقِعَهُ وَسَطَ الْكُونِ أَوْ بَيْتَةَ الْجَمَاعَةِ الْبَشَرِيَّةِ. إِنْ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ الْمَطْبِقَةُ عَلَى الْجَسَدِ هِيَ عَلَى الْفُورِ مَعْرِفَةٌ تَقَافِيَّةٌ. فَحَتَّى لَوْ اِمْتَلَكْتَهَا الشَّخْصُ ثَانِيَةً بِنَاءً عَلَى نَمَطِ بَدَائِيٍّ، فَإِنَّهَا تَسْمَحُ لَهُ بِإِعْطَاءِ مَعْنَى لِعُمُقِ لَحْمِهِ، وَبِمَعْرِفَةِ مِمَّا صَنَعَ، وَبِرَبْطِ أَمْرَاضِهِ أَوْ أَوْجَاعِهِ بِأَسْبَابِ دَقِيقَةٍ وَمُتَقَفَّةٍ مَعَ رُؤْيَا مُجْتَمَعَةٍ لِلْعَالَمِ. كَمَا تَسْمَحُ أَحْيَرًا بِمَعْرِفَةِ مَوْقِعِهِ تَجَاهَ الطَّبِيعَةِ وَالنَّاسِ الْآخَرِينَ، عَبْرَ نِظَامِ قِيَمٍ مَا².

إِنْ تَصَوُّرَاتُ الْجَسَدِ، وَالْمَعَارِفُ الَّتِي تَبْلُغُهَا تَخْضَعُ لِحَالَةِ اجْتِمَاعِيَّةٍ، وَلِرُؤْيَا لِلْعَالَمِ وَلِتَعْرِيفِ مُحَدَّدٍ لِلشَّخْصِ فِي دَاخِلِ هَذِهِ الرُّؤْيَا، فَالْجَسَدُ بِنَاءً رَمَزِيٍّ، وَلَيْسَ حَقِيقَةً فِي دَانِهَا، وَمِنْ هُنَا مَنشَأُ عَدَدٍ لَا يُحْصَى مِنَ التَّصَوُّرَاتِ الَّتِي تَسْعَى لِإِعْطَائِهِ مَعْنَى وَسَبَبِ طَابَعِهَا الْغَرِيبِ وَالْمُتَنَاقِضِ، مِنْ مُجْتَمَعٍ لِآخَرٍ. وَيَبْدُو أَنَّ الْجَسَدَ أَمْرًا مُسْلِمًا بِهِ، لَكِنْ لَا شَيْءَ فِي النِّهَايَةِ لَا يُمَكِّنُ إِدْرَاكُهُ أَكْثَرَ مِنْهُ. إِنْ لَيْسَ مُطْلَقًا مَعْلُومًا، غَيْرَ قَابِلٍ لِلنَّقَاشِ وَإِنَّمَا هُوَ نَتِيجَةُ بِنَاءِ اجْتِمَاعِيٍّ وَتَقَافِيٍّ³.

وَهَكَذَا يَتِمُّ النَّظَرُ إِلَى الْجَسَدِ بِاعْتِبَارِهِ نَتَاجِ السِّيَاقِ الْاجْتِمَاعِيِّ وَالتَّقَافِيِّ الَّذِي يَخُوضُ فِيهِ الْإِنْسَانُ الْفَاعِلِ، مِنْ خِلَالِ عِلَاقَتِهِ بِالْعَالَمِ الْخَارِجِيِّ وَالْأَنْشِطَةِ الْإِدْرَاكِيَّةِ وَالتَّعْبِيرِ عَنِ

¹ عبد العزيز احرييل: سوسولوجيا الجسد 1 قراءة دلالية في مفهوم الجسد، الحوار المتمدن، العدد: 4687، 01/10/2015.

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=450008

² دافيد لوبروتون: انثروبولوجيا الجسد والحداثة، ترجمة: محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط2،

1997، ص11

³ المرجع نفسه، دافيد لوبروتون: انثروبولوجيا الجسد والحداثة ص12

المشاعر والخضوع لطقوس التفاعل مع الآخر على مستوى الحركات والإيماءات والاعتناء بالمظهر والتفاعلات الحميمية والتفانيات الجسدية وصحة الجسم والعلاقة بالآلم... إلخ. إذن فالتواجد هو أولاً جسدي¹.

إن الإنسان من دون الجسد الذي يُعطيه وجهًا، لن يكون الإنسان على ما هو عليه وستكون حياته اختزالًا مستمرًا للعالم في جسده، عبر الرمز الذي يجسده. إن وجود الإنسان وجود جسدي. والمعالجة الثقافية التي يُعدُّ موضوعًا لها والصورة التي تتكلم عن عُمقه المخبأ، والقيم التي تُميزه، تحدّثنا أيضًا عن الشخص وعن المتغيرات التي يمرُّ بها تعريفه وأنماط وجوده، من بنىه ثقافية لأخرى، وبما أن الجسد يوجد في قلب العمل الفردي والجماعي، وفي قلب الرمزية الاجتماعية، فإنه يُعدُّ محطًا له أهمية كبيرة في فهم أفضل للحاضر. بذلك يُصبح الشرط الإنساني جسديًا، حيث الجسد مادة الهوية علة المستوى الفردي والجماعي، والفضاء الذي يمنح نفسه للنظر والقراءة وتفسير الآخرين؛ فبفضله نحن مُعيّنون، مُعترف بنا، ومُحدّدون بانتماء ثقافي، بجنس، بسن، بلون الجلد وبخصلة فريدة من الإغراء².

أدت هذه النظرة الجديدة غير المسبوقة للجسد إلى تراكم أبحاث كثيرة في الساحة الأكاديمية المعاصرة عن موضوع الجسد وبالأخص في العقود الأخيرة؛ إذ لم يُعد من المواضيع العربية والمستَهجَنة؛ وذلك في ظلّ تصاعد اهتمام الجمهور بالجسد مع تزايد دور وسائل الإعلام التي تعجّ بمواد عن صور الجسد وعمليات التجميل وأشهاريات الرشاقة واللياقة وطرق تحقيق الأثارة، حتى أصبح الجسد ضمن الثقافة المعاصرة يعكس فردانية غير مسبوقة.

¹ دافيد لو بروتون: سوسولوجيا الجسد، ترجمة: عياد أبلال وإدريس المحمدي، روافد للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2013، ص15

² المرجع نفسه، دافيد لو بروتون: سوسولوجيا الجسد، روافد للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1 ص7

بِنَاءٍ عَلَى مَا سَبَقَ، يُمَكِّنُنَا تَعْرِيفَ سُوسِيُولُوجِيَا الْجَسَدِ بِأَنَّهَا الْعِلْمُ الَّذِي يَهْتَمُّ بِالطَّرَائِقِ الَّتِي تُشَكِّلُ بِهَا الْحَيَاةَ الْاجْتِمَاعِيَّةَ أَجْسَادِ الْأَفْرَادِ وَتَتَشَكَّلُ بِهَا عَلَى اعْتِبَارِ أَنَّ الْجَسَدَ مُنْتَجِ اجْتِمَاعِيٍّ يَتَشَكَّلُ بِالْقِيَمِ وَالْمَعَايِيرِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ السَّائِدَةِ عَنْهُ بِاخْتِصَارٍ شَدِيدٍ يُمَكِّنُنَا اعْتِبَارَ سُوسِيُولُوجِيَا الْجَسَدِ بِأَنَّهَا "التَّجْدِرُ الْبَدَنِيِّ لِلْفَاعِلِ فِي عَالَمِهِ الْاجْتِمَاعِيِّ وَالنَّقَافِيِّ"¹.

إِنَّ الْجَسَدَ هُوَ التَّوَثُرُ الْهَوِيَّاتِي لِلْإِنْسَانِ، لِلْمَكَانِ وَالزَّمَنِ حَيْثُ الْعَالَمُ يُتَّخَذُ جِسْمًا. لِلْفِكْرِ جَسَدَانِيَّةٌ مِثْلَمَا لِلْجَسَدِ ذِكَاؤٌ. وَإِذَا كَانَتْ السُّوسِيُولُوجِيَا تَهْتَمُّ بِالْعَلَاقَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْفِعْلِ الْمُتَبَادَلِ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ، فَإِنَّ الْجَسَدَ دَائِمًا حَاضِرٌ هُنَا فِي قَلْبِ كُلِّ التَّجَارِبِ. أَمَّا عَنْ مَوْقِفِ الْبِنَائِيَّةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، فَهِيَ تَرَى أَنَّ الْجَسَدَ عِبَارَةٌ عَنْ بِنَاءِ اجْتِمَاعِيٍّ بِشَكْلِ كَبِيرٍ مَا يَعْنِي أَنَّهُ يَتَنَوَّعُ عَبْرَ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ وَكَيْفَ إِنَّ الْعَوَالِمَ الْاجْتِمَاعِيَّةَ الْمُتَبَايِنَةَ تُعْطَى مَعَنَا وَتُنْتَجِ الْجَسَدَ².

2.. مورييس ميرلوبونتي (1908م-1961م):

يَقُولُ، فَيْلَسُوفُ الْجَسَدِ الْفَرَنْسِيِّ مورييس ميرلوبونتي (1908-1961)، "قَالَ الْمَرْءُ يُوجَدُ كَشَيْءٍ وَيُوجَدُ كَشُعُورٍ". أَمَّا وُجُودُ الْجِسْمِ بِالذَّاتِ، فَيَكْتَشِفُ لَنَا عَلَى الْعَكْسِ صِيغَةَ وُجُودِ غَامِضَةٍ. مُهِمَّةُ الْفَلَسَفَةِ تَقْرِيْبًا لَمْ تَكُنْ لَتُوجَدَ جَوَابًا سَهْلًا مُسْتَهْلَكًا أَوْ تَفْسِيرًا كُلِّيًّا قَبْلَ الْإِعْتِقَادِ بِالْقَدْرِ الَّذِي تَوَجَّهَ فِيهِ الْفِكْرُ وَتُرَكِّزَ مُهِمَّتَهَا عَبْرَ السُّؤَالِ وَالنَّسْأُولِ وَتَوْسِيعَةِ وَعَاءِ الْإِشْكَالِيَّةِ وَرَفَعِ حَجَبِ الْبِدَاهَةِ عَنِ الْعَقْلِ الْإِنْسَانِيِّ، فِي الْوَاقِعِ الْجِسْمِ الْبَشَرِيِّ سَمْتَهُ غَيْرُ قَابِلَةٍ لِلْإِمْسَاكِ ظَاهِرِيًّا مِنْ وَجْهِهِ نَظَرِ تَصَوُّرِيَّةٍ أَوْ أَيْضًا رَفُضِ بَعْضِ اعْتِبَارِهِ مَوْضُوعًا جَدِيرًا لِاهْتِمَامِ الْفَلَسَفِيِّ.

يَعْتَقِدُ "ميرلوبونتي" أَنَّ الْجِسْمَ الْإِنْسَانِيَّ هُوَ الْخَلِيطُ النَّاطِمُ الْمُتَّصِلُ فِي الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، وَهُوَ يَشْغَلُ الصُّورَةَ وَالْمَادَّةَ، مَرْبِيٌّ/ غَيْرُ مَرْبِيٍّ، نُحَاوِلُ إِمْسَاكَهُ صُورِيًّا لَكِنَّهُ يَتَدَرَّجُ مَادِّيًّا

¹ المرجع نفسه، دافيد لو بروتون: سوسيوولوجيا الجسد، روافد للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1 ص176

² المرجع نفسه، دافيد لو بروتون: سوسيوولوجيا الجسد، روافد للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1 ص8

لِحَدِّ التَّصَلُّبِ، وَهَذَا مَا يَزِيدُ مِنْ رَغَبَتِنَا فِي الْفَهْمِ وَالْوَعْيِ بِهِ وَتَجَنُّبِ إِقْصَائِهِ أَوْ إِغْفَالِ الْفِكْرِ عَنْهُ. يَرَى "مِيرلوبونتي" أَنَّ الْجِسْمَ مَرْكَزَ التَّفَكِيرِ الْفَلْسَفِيِّ، الْقَلْبَ مِنَ الْكَائِنِ ذَاتِهِ وَمِنَ الْكَائِنِ ذَاتِهِ لِكُلِّ فَرْدٍ فِي الْعَالَمِ مُؤَثِّرٌ وَمَتَأَثِّرٌ، رَأْيِي وَمَرِيِّي، لِذَلِكَ فَإِنَّ مَفْهُومَ الْجَسَدِ يُشْكَلُ مَوْضُوعًا كَبِيرًا لَطَالَمَا أَنَّ الْجَسَدَ يُحَدِّدُ كَيْفِيَّةَ الْوُجُودِ الْإِنْسَانِيَّ.

يُعْتَبَرُ "مِيرلوبونتي" أَنَّ الْجَسَدَ بِمَثَابَةِ وَسِيطٍ بَيْنَ الْأَنَا وَالْآخِرِ وَبَيْنَ الْأَنَا وَالْعَالَمِ؛ فَالْإِنْسَانُ لَا يَعْجِي ذَاتِهِ إِلَّا مِنْ خِلَالِ الْإِعْتِمَادِ عَلَى التَّجْرِبَةِ الْحِسِّيَّةِ، لِذَا يَدْعُو "مِيرلوبونتي" إِلَى أَنْ يَنْفَتِحَ الْإِنْسَانُ عَلَى عَالَمِ الْأَشْيَاءِ اعْتِمَادًا عَلَى وَسَاطَةِ الْجَسَدِ؛ أَيُّ إِنَّ حُضُورَ الْإِنْسَانِ دَاخِلَ الْعَالَمِ هُوَ حُضُورٌ مُتَجَسِّدٌ، وَبِالتَّالِي لَمْ يَعُدَّ الْجَسَدُ مُجَرَّدَ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَوْ هُوَ كُنْةٌ "فَيْرِيُو - كِيمَائِيَّةٌ"، كَمَا أَكَّدَتْ مَنَاهِجُ عِلْمِ التَّشْرِيحِ وَلَيْسَ مُجَرَّدُ الْهَيْكَلِ كَمَا ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ "ديكارت"، بَلْ إِنَّهُ قِيَامُ الْوُجُودِ أَوْ مَا بِهِ نُدْرِكُ الْعَالَمَ، أَنَّهُ كِيَانٌ وَوُجُودٌ قَادِرٌ عَلَى الْفِعْلِ. يُقِيمُ "مِيرلوبونتي" تَمْيِيزًا بَيْنَ الْجَسَدِ الْخَاصِّ وَالْجَسَدِ الْمَوْضُوعِيِّ، فَالْجَسَدُ الْخَاصُّ هُوَ الْجَسَدُ الْمَعِيشُ أَيُّ كُلُّ مَا نُدْرِكُهُ مِنَ الدَّخْلِ وَنَعِيشُ مِنْ خِلَالِهِ عِلَاقَتَنَا بِالْعَالَمِ. أَمَّا الْجَسَدُ الْمَوْضُوعِيُّ فَهُوَ الْجَسَدُ كَمَا يُدْرِكُ وَيُدْرَسُ مِنَ الْخَارِجِ كَجَسَمٍ.

تَتَحَدَّدُ قِيَمَةُ الْجَسَدِ عِنْدَ "مِيرلوبونتي" كَأَدَاةٍ لِإِدْرَاكِ الْعَالَمِ، حَيْثُ يُصْبِحُ الْجَسَدُ قِيَامًا لَوُجُودِنَا؛ أَيُّ إِنَّ كُلَّ الْعَالَمِ يَقُومُ عَلَى أَسَاسِ الْجَسَدِ، فَالْوُجُودُ نُدْرِكُهُ وَنَحْسَهُ وَنَفْكَرُ فِيهِ مِنْ خِلَالِ الْجَسَدِ. وَبِذَلِكَ نَتَبَيَّنُ مِنْ خِلَالِ تَجْرِبَةِ الْجَسَدِ اسْتِحَالَةَ الْفَصْلِ بَيْنَ الْوَعْيِ وَالْجَسَدِ؛ أَيُّ إِنَّ الْجَسَدَ هُوَ دَائِمُ الْحُضُورِ بِالنَّسْبَةِ إِلَيْنَا فَهُوَ قِيَامٌ وَوُجُودٌ وَشَرْطٌ لِإِدْرَاكِ الْعَالَمِ، حَيْثُ لَا يَظْهَرُ الْعَالَمُ لِإِنْسَانٍ إِلَّا لِأَنَّهُ يَتَمَيَّزُ بِالْوَعْيِ، وَلَكِنَّهُ وَعَى لَا يَنْعَالِي عَنِ الْجَسَدِ. إِنَّ هَذَا التَّصَوُّرَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَسْمَحَ لَنَا بِالْمُرُورِ مِنْ مَفْهُومِ الذَّاتِ الْمُفَكَّرَةِ إِلَى مَفْهُومِ الذَّاتِ الْمُتَجَسِّدَةِ، وَهُوَ مَا عَبَّرَ عَنْهُ "مِيرلوبونتي" بِقَوْلِهِ: "جَسَدِي هُوَ الْمِحْوَرُ الَّذِي يَدُورُ حَوْلَهُ الْعَالَمُ".

هَذَا يُنْظَرُ إِلَى "مِيرلوبونتي" عَلَى اعْتِبَارِهِ فَيْلَسُوفًا أَصِيلًا، لِأَنَّهُ أَعَادَ لِلْجَسَدِ مَكَانَتَهُ الْحَقِيقِيَّةَ، فَهُوَ كَمَا يُصْرَحُ فِي كِتَابِهِ الْعَيْنَ وَالْعَقْلَ ذَلِكَ الْحَارِسُ الَّذِي يَقِفُ صَامِتًا مِنْ وَرَاءِ كَلِمَاتِي وَمِنْ وَرَاءِ أَفْعَالِي¹، بِوَاسِطَتِهِ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَكْتَشِفَ الْعَالِمَ الْمَرْتِيَّ وَأَعُوصُ فِي الْعَالَمِ اللَّامَرْتِيَّ، وَبِهِ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَلْتَقِيَ بِالْآخِرِ وَأَتَفَاعَلَ مَعَهُ بِالْجَسَدِ الْخَاصِّ لَا الْجَسَدِ الْمَوْضُوعِيِّ، وَبِالْتَّالِي يَنْبَغِي عِنْدَ دَرَاةِ الْجَسَدِ أَنْ نُفَرِّقَ بَيْنَ الدَّرَاسَةِ الْوَضْعِيَّةِ أَوْ الْعِلْمِيَّةِ وَلَهُ وَبَيْنَ الدَّرَاسَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ "الفينومينولوجية" له².. وَبِنَاءِ عَلَى اسْتِعْرَاضِ مَرَاجِلِ الْجَسَدِ انْطَوْلُوجِيَا نَصَلُ إِلَى صُورَتِهِ الرَّاهِنَةِ:

- الْجَسَدُ مَخْلُوقٌ "سَلْطَةُ اللَّاهُوتِ": وَهِيَ مَرَحَلَةُ السُّلْطَةِ اللَّاهُوتِيَّةِ الْمُهَيْمِنَةِ عَلَى الْجَسَدِ مِنْ الْخَارِجِ، بِاعْتِبَارِهِ إِحْدَى بَصَمَاتِ الْآلَةِ فِي الْإِنْسَانِ، ظَاهِرُهُ "الْحِسَّ - الْأَيْمَانِ" مِنْ وَجْهِهِ نَظَرٌ دِينِيَّةٌ. حَيْثُ مَثَلٌ أَنْرَا لِأَكْتِشَافِ أَثَارِ الْخَالِقِ مِنْ جِهَةِ التَّكْوِينِ وَالْوُضَائِفِ وَالْعَايَةِ الَّتِي يُجَسِّدُهَا. إِنَّ الْآلَةَ وَهَبَ الْإِنْسَانُ جَسَدًا مُعْجَزًا فِي حَيَاتِهِ الَّتِي يَحْمِلُهَا كَنِعْمَةٍ مِينَاْفِيْزِيْقِيَّةِ.

- الْجَسَدُ كَانِنًا "سَلْطَةُ الْمَوْجُودِ الْإِنْسَانِيِّ": هُوَ جَسَدٌ كَمَا هُوَ مُتَعَارَفٌ عَلَيْهِ فِي الْحَيَاةِ وَالطَّبِيعَةِ، وَفِكْرَتُهُ هِيَ نِتَاجُ اتِّجَاهَاتِ الْحَدَاثَةِ الْعَرَبِيَّةِ، بِاعْتِبَارِهِ شَيْئًا مَبْدُئِيًّا مِنْ حَيْثُ الْوُجُودِ وَالْإِحْسَاسِ، وَمَا يَنْبَغُ ذَلِكَ مِنْ تَنْوُّعٍ وَاخْتِلَافٍ وَفُهُمِ ذَاتِي وَوَعَى وَكُلِّ الْعَمَلِيَّاتِ الْحِسِّيَّةِ الْمُصَاحَبَةِ. فَالْجَسَدُ حَسَبَ هَذِهِ الرُّوْيَةِ لَيْسَ مَسْكُونًا بِالْأَسَاطِيرِ وَلَا بِالْأَسْرَارِ وَلَا تَحْرُكُهُ قُوَى مِينَاْفِيْزِيْقِيَّةِ مُفَارَقَةٍ، لَكِنَّهُ جِسْمٌ مَادِّيٌّ بِيُولُوجِيٍّ لَهُ سِيَاقُهُ وَرَعْبَاتُهُ.

- الْجَسَدُ الشَّفَافُ "سَلْطَةُ الرُّوحَانِيَّاتِ": تُحَاوِلُ اتِّجَاهَاتُ رُوحَانِيَّةِ بَثِّ أَنْفَاسِ إِنْسَانِيَّةِ عَلَى إِيقَاعِ لِأَهْوَتِي قَدِيمِ فِي الْجَسَدِ. الْأَمْرُ يَجْرِي بِاعْتِبَارِ الْجَسَدِ فِي الْحَقِيقَةِ أَقْلٌ أَهْمِيَّةٌ مِنْ

¹ موريس ميرلوبونتي: العين والعقل، ترجمة: حبيب الشاروني، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1، بدون تاريخ، ص13

² لاني حاج أحمد: مكانة الجسد في الفلسفة الغربية (موريس ميرلوبونتي)، سلسلة الأنوار، المجلد: 12، العدد: 01، جامعة وهران،

الرُّوح. تَلَكَ الْفِكْرَةَ تُؤَكِّدُ التَّنَائِيَاتِ مِثْلُ (جَسَدٍ / رَوْحٍ)، (عَقْلٍ / حِسِّ)، (جَوْهَرٍ / مُظْهِرٍ).
الْجَسَدُ هُنَا بُدِيلٌ ظَاهِرِيٌّ لِمَمَارَسَةِ السُّلْطَةِ الْمَادِّيَّةِ. فَالرُّوحُ هِيَ السَّلْمُ لِمَعْرَاجِ الْإِنْسَانِ
بِالْجَسَدِ نَحْوِ الْأَعْلَى، وَيَعْتَقِدُ أَصْحَابُ هَذَا الرَّأْيِ أَنَّ الْجَسَدَ سَتَحُولُ مِنْ كُنْثَلَةِ غُرَابِيَّةٍ إِلَى
مُسْتَوَى شَفَافٍ؛ أَيِّ سَيَحَاوِلُ التَّنَطُّهُرُ مِنَ الْإِحْسَاسِ الدَّاخِلِيِّ بِالْحَطِيئَةِ عَلَى افْتِرَاضِ كَوْنِ
الْجَسَدِ مُسْتَوْدَعًا لِأَثَامِ قَدِيمَةٍ¹.

نخلص من هذا المبحث المفاهيمي التجريدي لمفهوم فكرة الجسد إلى أن الجسد الإنساني
ليس معناه المادة والشكل وحسب، فهذا التسطيح المعرفي ليس يوصلنا إلى شيء، إلا أن
نفهم كيف تقوم تلك الإيديولوجيات والسياسة والثقافة والمجتمع والتقنية مجتمعة، بترك
نقوشها عالية أو كشف تلك الأساليب السلطوية الإكراهية المتدخلة فيه وبه، فالجسد ليس
كيانا مجرداً أو بنية ساكنة فهو مجال نشط دينامي يختبرنا من خلال تحولاته وتغييراته،
فالجسد لم يكن يوماً صامتاً فبلعه علوم اللسان هو نص يحمل معاني ثقافية تستدعي
استقراءه دائماً وتفكيكه. علينا أن نهتم بهذا المنظور التحليلي الدلالي والسوسولوجي
والأنثروبولوجي لنقترب أكثر من فهم الظواهر الإنسانية المعقدة، فهويتنا الفردية والجنسية
لها علاقة وثيقة بحقل تشابك العلاقات السلطوية حوله، فالذكورة والأنوثة لعبه في علامة
الجسد وهذا ما يكون مهماً في الدراسات الثقافية الجسدية، وبالأخص في الآونة الأخيرة
مع انتشار ظاهره التحول الجنسي في العالم الغربي تغييراً عن رفض السياق الفطري
لجسد كموقف احتجاجي موعظ بتفديس قيم الحرية الفردية المتطرفة إلى حد الأنانية
والتفنن في بالبحث عن اللذة والمتعة مما يندُر بتدمير استمرار الجنس البشري.

وهكذا تكمن أهمية الجسد كمعطي إمام الملاحظة السوسولوجية بغرض فهم وتفسير
ظواهره في بعدها الاجتماعي، في كونه (الجسد)، مادة أولية تقصح عما يعتمل في الذات
الإنسانية، باعتبارها ذات اجتماعية أولاً وأخيراً.

¹ سامي محمد عبد العال: فلسفة الجسد الافتراضي - تحولات العلاقة بين الجسد والسلطة، ص 27-29-31

البحث السوسولوجي: وَهَذَا مَا أُعْطِيَ لِلْسُّوسِيُولُوجِيَا كَمَبِحْثِ عِلْمِي يَتَوَخَّى الْمَوْضُوعِيَّةَ فِي رَصَدِهِ لِلظَّوَاهِرِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، مَشْرُوعِيَّةَ التَّفْكِيرِ فِي الْجَسَدِ كَمُعْطِي وَمَوْضُوعِ اللَّبْحِ، إِذْ تُعَدُّ سُوسِيُولُوجِيَا الْجَسَدِ فَرْعًا مِنْ فُرُوعِ السُّوسِيُولُوجِيَا الَّتِي اخْتَصَّتْ بِفَهْمِ الْجَسَدِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ كظَاهِرَةِ مُجْتَمَعِيَّةٍ وَثَقَافِيَّةٍ، بِاعْتِبَارِ الْجَسَدِ مَادَّةَ لِلرَّمْزِ، وَمَوْضُوعًا لِلتَّمَثُّلِ وَالْمُتَخَيَّلِ، فَكُلُّ إِشَارَاتِ الْإِنْسَانِ الْبَدَنِيَّةِ خَاضِعَةٌ لِعَدَدٍ مِنَ الْأَنْظِمَةِ الرَّمْزِيَّةِ، فَمَنْ الْجَسَدِ تَنْبَثِقُ وَتَنْتَاشِرُ الْعَلَامَاتُ وَالْمَعَانِي الَّتِي تُؤَسِّسُ لِلتَّوَاجِدِ الْفَرْدِيِّ وَالْجَمَاعِيِّ .

وَفِي الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ: يُعْتَبَرُ جَسَدُ الْإِنْسَانِ أَمَانَةً عِنْدَهُ، يَجِبُ الْمَحَافَظَةُ عَلَيْهِ، فَالْمُسْلِمُ مِنْهَيٌّ عَنْ كُلِّ مَا يُؤَدِّي بِهِ إِلَى الضَّرَرِ وَالْهَلَاكِ قَالَ تَعَالَى: [وَلَا تَقْفُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ¹] ، كَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْمَحَافَظَةُ عَلَى نِظَافَتِهِ وَالْعِنَايَةِ بِهِ، وَتَحَرَّى أَسْبَابِ الْوَقَايَةِ مِنَ الْأَمْرَاضِ الَّتِي قَدْ تُصِيبُهُ إِنْ أَهْمَلَ جَسَدَهُ، وَلَمْ يَعْتَنِ بِهِ وَبِظَافَتِهِ قَالَ تَعَالَى: [أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ النَّوَابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ²] ، بِالإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ يَجِبُ عَلَيْهِ عَدَمُ إِرْضَاءِ النَّفْسِ وَإِشْبَاعِ الرَّغَبَاتِ بِالْمَلَذَّاتِ عَلَى حِسَابِ الْجَسَدِ وَصِحَّتِهِ قَالَ تَعَالَى: [وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ³] ، كَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ عَدَمُ إِهْدَارِ قُوَّتِهِ، بِالإِفْرَاطِ فِي الْمَلَذَّاتِ الْمُحَرَّمَةِ، وَإِرْهَاقِ الْجَسَدِ بِكثْرَةِ السَّهْرِ بِالْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ، لِإِشْبَاعِ رَغْبَةِ جَمْعِ الْمَالِ وَتَوْفِيرِهِ، فَهَذَا حَقٌّ مِنْ أَمَمِ الْحُقُوقِ لِلْجَسَدِ قَالَ تَعَالَى: [وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا⁴] ، وَمَنْ حَقَّ الْجَسَدِ عَلَى الْمُسْلِمِ أَيْضًا فِعْلُ مَا يَقْوِيهِ وَيُسَاعِدُهُ عَلَى تَوْفِيرِ الطَّاقَةِ لَهُ، كَمُمَارِسَةِ الرِّيَاضَةِ بِأَنْوَاعِهَا وَمُرَاعَاةِ أَنْوَاعِ الرِّيَاضَةِ الَّتِي تُنَاسِبُ كُلَّ شَخْصٍ، لِإِحَافِظِ الْمُسْلِمِ عَلَى جَسَدِهِ، وَيَكُونُ بَعِيدًا عَنِ الْأَمْرَاضِ وَالْهَزَالِ. مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْإِسْلَامَ سَعَى إِلَى تَحْقِيقِ التَّوَازُنِ بَيْنَ الْجَانِبِ الْجَسَدِيِّ وَالرُّوحِيِّ لِلْإِنْسَانِ.

¹ القرآن الكريم: سورة {البقرة: 195}

² المصدر نفسه: سورة {البقرة: 222}

³ القرآن الكريم: سورة {الأعراف: 31}

⁴ القرآن الكريم: سورة {النساء: 29}

المَبْحَثُ الثَّالِثُ: مَنَاهِجٌ وَأَدَوَاتٌ عَمَلِيَّةٌ التَّحْلِيلِ "رُؤْيَةٌ فَوْكُوِيَّةٌ"

اعْتَمَدَ "فُوكُو" أَدَاتَيْنِ مِنْهُجِيَّتَيْنِ فِي تَحْلِيلِ الْجَسَدِ وَرَصَدِ أُبْعَادِهِ، ابْتِكَرَ إِحْدَاهُمَا وَهِيَ "الْأَرْكِيُولُوجِيَا" Archeology وَاسْتَعَارَ الثَّانِيَةَ مِنْ "نَيْشَه" وَهِيَ "الْجِينَالُوجِيَا" Genealogy وَتَعَدُّ هَاتَانِ الْأَدَاتَانِ مَنْظُومَةً مُتَكَامِلَةً اعْتَمَدَ عَلَيْهَا "فُوكُو" فِي تَحْلِيلِ قَضَايَا الْخَطَّابِ وَالسُّلْطَةِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْجَسَدِ وَغَيْرِهَا مِنْ الْقَضَايَا.

الأداة الأولى، المنهج الأركيولوجي¹: أَنَّ نَمَّةَ إِحْسَاحٍ وَاضِحٍ مِنْ جَانِبِ "فُوكُو" عَلَى مُصْطَلَحِ الْأَرْكِيُولُوجِيَا فِي السُّنِّيَّاتِ، حَيْثُ اسْتَعْمَلَهُ كَعَنْوَانِ فَرْعِيٍّ وَتَوْضِيحِيٍّ لِكِتَابِيَّةِ مِيلَادِ الْعِيَادَةِ أَوْ أَرْكِيُولُوجِيَا النَّظَرَةِ الطَّبِيَّةِ، وَكَتَابَةِ الْكَلِمَاتِ وَالْأَشْيَاءِ، أَوْ أَرْكِيُولُوجِيَا الْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ، كَمَا اسْتَخْدَمَهُ كَعَنْوَانِ رَئِيسِيٍّ لِكِتَابَةِ "أَرْكِيُولُوجِيَا" الْمَعْرِفَةُ الصَّادِرِ فِي عَامِ 1969م².

¹ مصطلح الأركيولوجيا، هو العلم الذي يدرس الماضي البشري أساساً، ويحاول تفسيره من خلال الآثار والمعالم الحضارية المنشرة التي يكشف عنها الحفر والتنقيب وعادة ما يعد ذلك العلم فرعاً من فروع التاريخ أو على الأقل وثيق السلطة به، فالمضمون الواضح للأركيولوجيا يحيل إلى فكرة الحفر والتنقيب بحثاً عن أشياء وآثار قديمة، اندثرت بفعل الزمان، استخدمه "فوكو" بمعنى مجازي، يقصد به سبر الأعماق من أجل الكشف عن وقائع خفية في ميدان معين، لإعادة بناء حقيقة ما. راجع: عبد الرزاق الدواي: موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1992م ص 139

² مرجع سابق، عبد الرزاق الدواي موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، ص 139

يرى "فوكو" إن المنهج الأركيولوجي يمكن الباحث من فصل أشكال الخطاب التي انطمرت من أجل الوصول إلى الحقائق المفصليّة، والخطاب Discourse ليس مجموعته النصوص التي احتفظت بها حضارة ما، ولكنه مجموعة الممارسات المعرفية والسلوكية التي تنتج المعرفة المتعلقة بالجسد والتجربة والظواهر المختلفة، إن المنهج الأركيولوجي يكشف عن التداخل بين ما قيل في الماضي وما يمكن أن يقال عن الظواهر المختلفة.

أن الباحث الأركيولوجي من وجهه نظر "فوكو" هو الذي يستطيع التوصل إلى تلك العصور الغابرة المطمورة تحت الركام عن طريق الحفر والتعرية، فخلال قرون عديدة حصل تراكم الوقائع يُعطى بعضها بعضاً -تماماً كما في علم الآثار- حيث نجد مدناً كاملة مطمورة تحت طبقات عميقة من التراب والرمل، أن على الباحث أن يقوم بعمل الأركيولوجي من أجل إزاحة الركام واكتشاف الطبقات العميقة للحقيقة التاريخية أو الواقع التاريخي¹.

ويعتقد "فوكو" إن الأركيولوجيا لا تسعى إلى استكشاف مظاهر الاستمرار غير المحسوس الذي يربط بطريقه اتصالية الخطابات بما يسبقها، وبما يحيط بها وبما يلحقها، أنها لا تترصد اللحظة التي تم فيها تكون الخطابات، أو حدوثها بالصورة التي هي عليها ولا حتى اللحظة التي تفقد متانة خلقها وتفقد من جراء ذلك ماهيتها، فكل ذلك دراسة تاريخية مباشرة، إنما تهتم الأركيولوجيا بتحديد الخطابات في خصوصيتها، وإبراز كيف أن القواعد التي تخضع لها تلك الخطابات، لا يمكن إرجاعها إلى شيء آخر، فالأركيولوجيا تتبع تلك الخطابات من خلال مظاهرها الخارجية وصورها البرانية، بغية الإحاطة بها بكيفية أفضل، غايتها في النهاية تحليل الفوارق والاختلافات الموجودة بين صيغ الخطاب ووجوهه².

¹ هاشم صالح: بين مفهوم الأرتودوكسية والعقلية الدوجمائية، مقدمة الترجمة العربية لكتاب محمد أركون، الفكر الإسلامي: قراءة

علمية، مركز الإنماء العربي، بيروت، 1996م، ص 10

² ميشيل فوكو: حفریات المعرفة، ترجمة سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1987م، 128، 129

إن الأركيولوجيا إذن وصف منهجي ومنظم للخطاب باعتباره موضوعاً أنها تسلم بأن خطاب المعرفة يمكن أن يدرس كظاهرة موضوعية ومستقلة، كتب في "أركيولوجيا المعرفة": "لا تهدف الأركيولوجيا إلى تحديد الأفكار والتثملات والصور والموضوعات والهواجس التي تخفي أو تظهر في الخطاب، ولكن تحليل الخطابات نفسها باعتبارها ممارسات تخضع لقواعد" وكتب في الكلمات والأشياء موضحة بعض معالم منهجه، "... مثل هذا التحليل لا يرجع كما نرى ذلك إلى تاريخ الأفكار، ولا إلى تاريخ العلوم، أنه بالأحرى دراسة تحاول أن تهتدي وتتعرف على تلك المنطلقات التي أصبحت بفضلها المعارف والنظريات ممكنة، حسب أي فضاء تنظيمي نشأت المعرفة، وعلى أساس أي أوليات تاريخية، أمكن لأفكار معينة أن تظهر، ولعلوم إن تتأسس، ولتجارب معينة إن تنعكس في الفلسفة ولمعقوليات إن تتكون، لكي، ربما تتحل وتتلاشى في أمد غير بعيدة¹.

يوضح بجلاء إذا إن "فوكو" لا يخفي رفضه لأن تصنف أبحاثه وتحليلاته "الأركيولوجية" ضمن أحد فروع التاريخ، سواء تعلق الأمر بتاريخ الأفكار أو تاريخ العلوم، فالأركيولوجيا التي يفتريها تبحث عن "الأسس" لا عن النشأة والتكون والتطور خلال الزمان، على أن لا نفهم من "الأسس" هنا البدايات الكبرى أو اللحظات التاريخية الحاسمة التي أصبحت المعارف ابتداء منها ممكنة، البدايات التي يبحث عنها نسيبياً ولا تتجاوز فترة تاريخية معينة، إن أركيولوجيا "فوكو" بدلاً من أن تكون بحثاً وعملاً في أحد ميادين التاريخ كما يوحي بذلك اسمها، فإنها تطرح نفسها كبديل له يقوم بالأحرى على أنقاضه، كبديل يطرح من جديد النقاش حول تاريخ الفكر ومناهجه وحدوده، ويهدف إلى تحريره من القيود التي لا تزال عالقه به وإلى إظهار كيف أمكن لتلك القيود أن تتكون².

¹ عبد الرزاق الدواي موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت. (1992م، ص140، 141

² المرجع نفسه، عبد الرزاق الدواي موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر ، ص141

تَمَثَّل الأَرْكِيُولُوجِيَا إِذْن مَنَهَجًا مُغَايِرًا لِّلْمَنَهَج التَّارِيخِي التَّقْلِيدِي، مَنَهَجًا يَهْدِفُ إِلَى الكَشْفِ وَالتَّنْقِيْبِ عَن كُلِّ صُورِ الخِطَابِ المُتَعَلِّقِ بِالمَعْرِفَةِ وَالسُّلْطَةِ وَالجَسَدِ، فِي فَتْرَةٍ زَمَنِيَّةٍ مُحَدَّدَةٍ، لَا تَهْدِفُ الأَرْكِيُولُوجِيَا إِلَى فَحْصِ تَطَوُّرِ الخِطَابِ فِي مَسَارَاتٍ مُحَدَّدَةٍ، إِنَّمَا تَهْدِفُ بِالأُخْرَى إِلَى كَشْفِ المُمَارَسَاتِ المُرتَبِطَةِ بِالخِطَابِ فِي تِلْكَ الفَتْرَةِ بِعَضِّ النَّظَرِ عَن مَا سَبَقَهَا مِن أَحْدَاثٍ وَمَا تَلَاهَا مِن نَتَائِجِ.

وَإِذَا كَانَتْ "الأَرْكِيُولُوجِيَا" قَدْ كَانَتْ المَفْهُومُ الأَكْثَرُ حُضُورًا فِي فَكْرٍ "فُوكُو" خِلَالَ السَّنِيَّاتِ، فَإِنَّهُ شُرِعَ مُنْذُ بَدَايَةِ السَّبْعِينَاتِ فِي صِيَاغَةٍ أَدَاهُ مَنَهَجِيَّةٌ جَدِيدَةٌ مُكَمَّلَةٌ لِ"الأَرْكِيُولُوجِيَا" وَمُسَانَدَةٌ لَهَا، وَهِيَ "الجِينَالُوجِيَا"، الَّتِي اسْتَعَارَهَا كَمَا سَبَقَ أَنْ ذَكَرْنَا مِن "نَيْتْشَه".

الأداة الثانية، المَنَهَجُ الجِينَالُوجِي¹: بَدَأَ التَّحَوُّلُ نَحْوَ الجِينَالُوجِيَا يَظْهَرُ عِنْدَ "فُوكُو" مُنْذُ كِتَابِيَّةِ "نِظَامِ الخِطَابِ"، وَ"نَيْتْشَه" وَالجِينَالُوجِيَا وَالتَّارِيخُ" اللَّذِينَ صَدَرَا فِي عَامِ 1971م، وَأَصْبَحَ أَكْثَرُ بُرُوزًا وَوَضُوحًا فِي كِتَابِيَّتِهِ "المُرَاقَبَةُ وَالْعِقَابُ" عَامَ 1975م، وَالجُزْءُ الأَوَّلُ مِن كِتَابِهِ تَارِيخِ الجِنْسِ عَامَ 1976م، حَيْثُ قَامَ "فُوكُو" بِقَلْبِ نِظَامِ الأَوَّلِيَّةِ لِصَالِحِ "الجِينَالُوجِيَا" الَّتِي أَصْبَحَتْ تَحْتَلُّ المَرْتَبَةَ الأُولَى فِي سَلَمِ اهْتِمَامَاتِهِ وَإِنْ كَانَ يُوكِّدُ أَنَّ الجِينَالُوجِيَا تَتَكَامَلُ مَعَ الأَرْكِيُولُوجِيَا وَتُنَمِّمُ عَمَلَهَا².

تصوّر "فوكو" للتاريخ: يَصِفُ "فُوكُو" الجِينَالُوجِيَا بِشَكْلِ عَامٍّ بِأَنَّهَا شَكْلٌ مِنَ التَّارِيخِ، يُفَسِّرُ كَيْفِيَّةَ تَشَكُّلِ المَعْرِفَةِ وَالخِطَابِ وَالمَوْضُوعَاتِ دُونَ الإِضْطِرَارِ إِلَى الرُّجُوعِ إِلَى الذَّاتِ، سَوَاءً أَكَانَتْ الذَّاتُ مُتَعَالِيَةً فِي عِلَاقَتِهَا بِمَجَالِ الأَحْدَاثِ أَوْ نَاقِصَةً هَوِيَّتُهَا "الفَارِغَةُ" عَبْرَ التَّارِيخِ.

¹ يُعْرَفُ "نَيْتْشَه" "الجِينَالُوجِيَا" فِي كِتَابِهِ: "جينالوجيا الأخلاق" Genealogy of morals "بأنها تتبع وتعقب مراحل نشأة وتطور القيم الميتافيزيقية بالإحالة دائماً إلى الشروط الوجودية والمصلحية المنتجة لها والفكرة الناطمة للمنهج "الجينالوجي"، هي أن جميع الظواهر عبارة عن تأويلات ولا توجد هناك على الإطلاق أية ظاهرة في حد ذاتها". راجع: عبد الرزاق الدواي: موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، (1992م) ص35

² عبد الرزاق الدواي: موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1992م، ص158

المُلاحَظَ هُنَا بَدَايَةَ أَنَّ ثَمَّةَ تَصَوُّرٍ مُغَايِرٍ لِلتَّارِيخِ يُقَدِّمُهُ "فوكو" يَتَأَسَّسُ عَلَى فِكْرَةِ الإِخْتِلَافِ وَليْسَ التَّوَاصُلِ التَّارِيخِيَّ، فَالْجِنَائِلُوجِيَا تَهْتَمُّ بِالْبَحْثِ عَنَ أَصْلِ و"نِسَابِيهِ" وَجُذْرِ الفِكْرَةِ أَوْ الحَدَثِ، لَيْسَ طَبَقًا لِلْمَنْهَجِ التَّارِيخِيِّ التَّقْلِيدِيِّ الَّذِي يُتَابِعُ نَشْأَةَ الظَّاهِرَةِ وَمَسَارُهَا اللَّاحِقِ وَلَكِنَّهَا تَلَاخَقُ مِنْ مَوْقِعِ الحَاضِرِ فِيمَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ الفِكْرَةُ أَوْ الحَدَثِ وَتُكْشِفُ التَّوَابِلَاتِ الَّتِي مَرَّتْ بِهَا وَالأَفْنَعَةُ الَّتِي تَلْبَسَتِهَا فِي مَسَارِهَا التَّارِيخِيَّ، أَيُّ إِنْ الجِنَائِلُوجِيَا تَرْجِعُ مِنَ الحَاضِرِ إِلَى المَاضِي، وَلَا تَبْدَأُ تَارِيخِيًّا مِنَ المَاضِي إِلَى الحَاضِرِ فِي سِيَاقِ رَمْنَى "كُرُونُولُوجِي" مُحَدَّدًا¹.

وَإِذَا كَانَ المَعْنَى المُثَبَّتُ لِلْجِنَائِلُوجِيَا هُوَ دِرَاسَةُ مَرَاجِلِ النُّشُوءِ وَالتَّكُونِ لِعَايَةِ إِبْتِهَا الأَنْسَابِ وَالأُصُولِ وَفِي مِيدَانِ تَارِيخِ الفِكْرِ البَحْثِ عَنَ الأَصْلِ الَّذِي صَدَرَتْ عَنْهُ فِكْرُهُ مَا، فَإِنَّ "فوكو" يَأْخُذُ هَذَا المُصْطَلَحَ فِي دَلَالَاتِهِ الفُصُولِيَّةِ وَيَجْعَلُهُ يَعْنِي أَوَّلًا وَآخِرًا الاقْتِلَاعِ مِنَ الجُذُورِ أَكْثَرَ مِمَّا يَعْنِي البَحْثِ عَنَ حَقِيقَةِ أَوْلَى أَوْ عَنَ هَوِيَّةِ مَفْقُودَةٍ: فَعَايَةِ الجِنَائِلُوجِيَا هِيَ بِالأَحْرَى هَدْمٌ وَتَقْوِيضٌ فِكْرِهِ الأَصْلِ وَالمَرْكَزِ وَالحَقِيقَةِ، فَليْسَتْ هُنَاكَ مَاهِيَّةٌ لِلأَشْيَاءِ...المَهَايَا كُلِّهَا مُصْطَنَعَةٌ وَمَحْبُوكَةٌ قَطْعُهُ...².

إِنَّ الجِنَائِلُوجِيَا تَسْعَى إِلَى كَشْفِ تَمَيِّزِ الأَحْدَاثِ بَعِيدًا عَنَ كُلِّ غَائِبَةٍ، بِالنَّسْبَةِ لِلْبَاحِثِ الجِنَائِلُوجِيَّ لَا تُوجَدُ جَوَاهِرٌ ثَابِتَةٌ وَلَا قَوَانِينٌ أُسَاسِيَّةٌ وَلَا غَايَاتٍ مَا وَرَائِيَّةٌ، تَسْعَى الجِنَائِلُوجِيَا إِلَى تَوْضِيحِ الإِنْقِطَاعَاتِ حَيْثُمَا يَكُونُ آخَرُونَ قَدْ لَاحَظُوا أَنَّ ثَمَّةَ تَطَوُّرٍ مُسْتَمِرٍّ، أَنَّهَا تَصِفُ مَاضِي الإِنْسَانِيَّةِ لِكَيْ تُكْشِفَ زَيْفَ أَنَاثِيْدِ التَّقَدُّمِ الرَّسْمِيَّةِ، أَنَّهَا لَا تَهْتَمُّ بِالبَحْثِ عَنَ العُمُقِ وَتُحَاوِلُ بِالأَحْرَى أَنَّ تَظْهَرَ الأَحْدَاثِ السَّطْحِيَّةِ وَالتَّقَاصِيْلِ الصَّغِيرَةِ وَالأِنْتِقَالَاتِ عَدِيمَةِ الشَّأْنِ وَالأُحْدُودِ الدَّقِيقَةِ³.

¹ عبد العزيز العيادي: ميشيل فوكو : المعرفة والسلطة ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت، 1994م، ص55

² عبد الرزاق الدواي موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت. (1992م، ص158، 159

³ ديرفوس وراينوف: ميشيل فوكو: مسيرة فلسفية، ترجمة جورج أبي صالح، مركز الإنماء العربي ، بيروت، (د.ت) ص99

الجينالوجيا، أو ما يُسمّى بالتاريخ الفعّال هي مُقابل للبحث عن الماهيات والجذور. إن الإعتقاد في فكرة الأصل هو أن الأشياء تخفى سرّاً جوهرياً سرمدياً، بيد أن التحليل الجينالوجي يكشف فقط التفاوت والانقطاع، في الحقيقة أن الجوهر يتشكّل واقعياً من أشكال غريبة غير متجانسة.

أصبح "فوكو" يؤكد الآن بأن لا شيء عميقاً وخفياً يكمن خلف المظاهر ولا وجود لمعنى أو حقيقة أولى يمكن الوصول إليها من خلال التأويل، فالتأويل لا يصل أبداً إلى نصّ أول وإنما ينتهي إلى تأويلات أخرى لا علاقة لها بالواقع أو الأشياء، فرضت ووضعت من قبل أناس آخرين ... على الجينالوجي إذا أن ينسف أفكار الذات والحقيقة والمعنى والأصل والتطور والتقدم، ويعلن الغياب الدائم للأساس والحقيقة، ليست هناك مهايأ أو حقائق أو قوانين أساسية أو غايات ميتافيزيقية، هناك فقط انقطاع واتصال، بعد هذا الهدم للبدائيات الراسخة، عليه أن يكشف عن لعبه صراع الإزادات، فحينئذ صوب نظره، عليه أن يبحث عن مظاهر الخضوع والهيمنة والصراع، وكلما تطرق إلى سماعه حديث عن المعنى والقيم والفضيلة، فعليه أن ينكب على تعرية أساليب السلطة والقوة¹.

وفي سياق تحليل الجسد وفق المنهج الجينالوجي، يؤكد "فوكو" إن الباحث الجينالوجي هو شخص يتفحص العلاقات بين السلطة والمعرفة والجسد في المجتمع الحديث، أي إن مهمة الجينالوجي ليست البحث عن معنى عميق للسلطة قائم في ما وراء سطح الحوادث والعلاقات، وليست كشافاً لما لم يتمكن من الإعلان عن ذاته منها وليست تحريراً لما كبتته السلطة أو قمعته، وليست إعلان حقيقة مالا يجد حقيقته في ذاته وليست وصلاً لما انقطع من عرى وحدة الذات واستمرارية التاريخ، بل هي وصف للحدث كما يتبدى ومتابعة لما هو كائن، هي انحياز لصوت المعركة ضد ثبوتية السلم المزعوم، أنها عمل توصيفي لتقنيات مراقبة الجسد وتطويعه، بهذا الاعتبار نستطيع أن نبيّن أن "ما يجمع بين أعمال

¹ عبد الرزاق الدواي: موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت. (1992م)، ص 159

"فوكو" حول الجزاء وأعماله حول الجنسانية، أنها العلاقة بالجسد، بتاريخه، بل أيضا بمساره الإقتصادي-السياسي، نتيجة للتأثير الذي تمارسه عليه السلطة السياسية بشكل عام¹.

وفي إطار اهتمام "فوكو" بالوثيقة أو الأرشيف ضمن منهجه الجينالوجي، يرى "فوكو" إن الوثيقة Document كما يراها ليست في النص الذي يأسرنا في بحثنا عن أكبر قدر ممكن من الموضوعية لمقارنة موضوعات البحث وليست الوثيقة هي التزامنا تجاه الماضي، نقس مطلقته لتصبح مستقبلية المستقبل والأنموذج الموجه لانية الحاضر، بل الوثيقة هي الجسد ذاته كما هو مأخوذ في علاقات السلطة، تحفر فيه أخايد لا تسمى وترسوم على جذرانه بوشم عصى زواله، فتكون الجينالوجيا بذلك هي إعادة رسم الشاعات والفظاعات التي تحترق التاريخ بعيون الراهن وأسئلة الحاضر، أن وصف الأرشيف يظهر خصوصية السلطة التي مورست والتي تمارس، لا كما يجب أن تمارس².

ويكشف "فوكو" في نهاية كتابه "نيتشه" الجينالوجيا والتاريخ "بمنظاره الجينالوجي" العلاقة بين المعرفة والجسد والسلطة والهيمنة، فيرى أن المعرفة متورطة تماما في الصراع الدنيء لعلاقات الهيمنة، المعرفة لا تقدم مخرجا، بل تقاوم المخاطر التي نجابها، يقول "فوكو": "قديمًا كانت الديانات تطلب التضحية بجسد الإنسان واليوم تدعو المعرفة إلى إجراء التجارب على أنفسنا من أجل فاعل المعرفة، كل الميادين مباحة الآن بقوة البحث العلمي، ينجم عن ذلك أن كل شيء عالق بالقوة في شبكات المعرفة التي يزداد تشابكها تعقيدا كلما تقدمت المعرفة، ونحن الآن على وشك التضحية بأجسادنا من أجل كذبنا الكبرى، الوهم بأن المعرفة موجودة بمعزل عن السلطة"³. ويوظف «فوكو» أدواته المنهجيتين المذكورتين في "الحفر والتنقيب" سعيا للوقوف على حقيقة فكرة الجسد ومعرفة الآليات

¹ عبد العزيز العيادي: ميشيل فوكو : المعرفة والسلطة ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت، 1994م، ص55

² عبد العزيز العيادي: ميشيل فوكو : المعرفة والسلطة ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت، 1994م، ص56

³ ديرفوس وراينوف: ميشيل فوكو: مسيرة فلسفية، ترجمة جورج أبي صالح، مركز الإنماء العربي ، بيروت، (د.ت) ص105

الَّتِي سَاهَمَتْ فِي إِخْضَاعِ الْجَسَدِ وَتَدْجِيئِهِ، مُنْذُ الْقَرْنِ السَّابِعِ عَشَرَ، وَيُسْقِطُهَا كَذَلِكَ عَلَى
الْجَسَدِ فِي الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ، وَهَذَا مَا سَنُكْشِفُ عَنْهُ

استنتاج: لَقَدْ سَعَى "فوكو" إِلَى التَّقْنِيْشِ عَنِ الْجَسَدِ بَيْنَ ثَنَائِيَا التَّارِيْخِ الْجِينِيَالُوجِي، بَاحِنًا
أَرْكِيُولُوجِيَا وَجِينِيَالُوجِيَا لِمُحَاوَلَةِ تَأْصِيْلِ الْجَسَدِ بِكَافَّةِ أْبْعَادِهِ، بَدَأًا مِنَ الْعُصُورِ الْقَدِيْمَةِ
الْكَلَّاسِيكِيَّةِ الْأُوْلَى، كَانَ يَغُوصُ غَيْرُ أَبِيهِ، اجْتَازَ رُبَّمَا مَا لَمْ يَجْرُؤُ أَحَدًا أَنْ يَتَجَرَّأُ أَوْ يَرْعَبُ
كَمَا فَعَلَ "فوكو" فِي مُحَاوَلَةِ اسْتِكْنَاهِهِ لِفِكْرَةِ الْجَسَدِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَفْكَارِ، حَاوَلَ تَأْكِيدَ الْعَلَاقَةِ التَّرَابِطِيَّةِ
بَيْنَ الْجَسَدِ وَالذَّاتِ وَالنَّفْسِ وَالْحَلْمِ وَالرُّؤْيِيَّةِ فِي شَكْلِ مُتْكَامِلٍ وَأَنَّ الْجَسَدَ هُوَ عِمَادُهَا وَعَمُودُهَا الْأَسَاسِ.

الفصل الثاني: التَّأْصِيْلِ الْفِكْرِيِّ لِفِكْرَةِ الْجَسَدِ "رُؤْيِيَّةُ فُوكُوِيَّة"

تمهيد:

المَبْحَثُ الْأَوَّلُ: تَحْلِيلُ "فوكو" لِفِكْرَةِ الْجَسَدِ "رُؤْيِيَّةُ فُوكُوِيَّة"

المَبْحَثُ الثَّانِي: آيَاتُ إِخْضَاعِ الْجَسَدِ "رُؤْيِيَّةُ فُوكُوِيَّة"

المَبْحَثُ الثَّلَاثُ: نَقْدٌ وَمُنَاقَشَةٌ وَتَقْيِيمٌ "رُؤْيِيَّةُ شَخْصِيَّة"

استنتاج:

الفصل الثاني: التأسيس الفكري لفكرة الجسد "رؤية فوكويه"

تمهيد:

لَمْ يَعُدْ الْجَسَدُ فِي الْعَصْرِ الرَّاهِنِ، قَالِيًا انطولوجيًا ثابتًا، بَلْ أَصْبَحَ يَتَدَاخَلُ فِي شَتَّى مَجَالَاتِ التَّفَاعُلِ الَّتِي تَلْفُ الْإِنْسَانَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ وَاتِّجَاهٍ حَيْثُ يَتَدَاخَلُ فِي عَالَمِ الدِّينِ وَالْإِيمَانِ وَفِي الْمَجَالَاتِ الطَّبَّيَّةِ وَالْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَفِي عَالَمِ الرُّمُوزِ وَالسَّلُوكَاتِ الْيَوْمِيَّةِ بَيْنَ الْبَشَرِ، يَعْنِي أَنَّ الْجَسَدَ مِرَاةً لِشَخْصِ صَاحِبِهِ، يُشِيرُ إِلَى عَالَمٍ مَمْلُوءٍ بِالْمَعَانِي وَالرُّمُوزِ .

المبحث الأول: رؤية وتحليل "فوكو" لفكرة الجسد "رؤية فوكوية"

يعد "ميشيل فوكو" Michelle Foucault (1926-1984) منظرًا للجسد في القرن العشرين، حيث كشف من خلال رواه ما بعد البنيوية الحضور الشامل للسلطة داخل الصياغات الخطابية المتعلقة بالجسد، أهمية الجسد لدى "فوكو" تصل لدرجة أنه يصف أعماله الفكرية بأنها تشكل "تاريخ أجساد وترصد الطريقة التي يتم من خلالها استثمار الأجساد ماديًا وحيويًا. فكيف تأسست رؤيته حول فكرة الجسد ؟

انتقد "فوكو" الإرث الديكارتي بشدة، ذلك الإرث الذي يعتبر الذات أساس المعرفة "أنا أفكر إذاً أنا موجود"، ترتب على ذلك تعزيز مكانة الروح على حساب الجسد، حيث أصبحت

الروح موطن التسامي وشعلة الفكر ورمزها اللامتناهي على حساب الجسد، الذي أصبح نفاية للمكبوتات ومنبت الدوافع والغرائز، فالجسد بهذا المعنى كيان دنس ومأوى للألم والمرض والرغبة والشهوة والانحراف والجريمة.

لقد تعمقت القطيعة بين عالم رذيلة يمثله الجسد وعالم فضيلة تمثله الروح، حتى استبطن الإنسان داخله الجسد كرزيلة يجب أن يحذر غوايته وشهواته، لأن الروح هي وحدها الجديرة بالاهتمام نظراً لكونها راعية الأسرار القدسية واللذة الحقيقية، أما الجسد فهو مجرد مثنوى للذة عابرة ونزوة منحلة، بينما الروح لا تبلى ولا تتبدد، فهي الأصل الذي لا يتعطل¹.

يُحيل الكوجيتو الديكارتى إلى التأكيد على أن الوجود الإنساني يتشكل من جوهر نفسي "أسمى"، وجوهر جسدي "أدنى"، فالنفس جوهر لا مادي ماهيته الفكر والجسد جوهر مادي ماهيته الامتداد المحسوس والنفس منفصلة في وجودها عن الجسد، "فإن الله قد خلق نفساً ناطقة ثم أضافها إلى ذلك الجسد في هيئة معينة".

بذلك فإن ثنائية "ديكارت" تضع هوة ضخمة بين الروح أو "العقل" وبين الجسد، تجعل للجسد وجوداً مستقلاً، لكنه محقر وتابع، بينما تُميز الروح في شكل مطلق، فهي تحت وصاية الله، إن الفكر بالنسبة لديكارت مستقل كلياً عن الجسد، إنه يتأسس على الله أيضاً، أما الجسد فهو مهياً للحقارة، إنه حقيقة طارئة غير جديرة بالفكر.

إن الإنسان لدى "ديكارت" هو كيان تتجاوز فيه روح لا تستمد معناها إلا من الفكر، وجسد أو بالأحرى آلة جسدية، يمكن اختزالها في بنيتها العضوية فقط.

¹ حسن المصدق البيولوجيا السياسية بين سلطة المعرفة ومعرفة السلطة، جريدة العرب الدولية، لندن 2007

كل هذه القضايا كانت هي نقطة انطلاق "فوكو" في تحليله لفكرة الجسد، إذ بدأ أولاً في
"تفكيك" هذه الثنائية وتعريفها، فأكد أن التمييز الديكارتي مستحيل تماماً على مستوى
الواقع، كما لا يمكن الفصل بين الزمان والمكان في الفكر الإنساني من ناحية، كما أن
ذلك التمييز أفرز من ناحية أخرى ثنائيات خاطئة كالمقابلة بين المثالية والمادية، التمييز
الذي طرأ على علاقة الرجل والمرأة، والمقابلة بين حاجات الجسد وحاجات الروح، ولذلك
فإن ما يجب القطع به، لا تفاضل بين الروح والجسد، فهما زوجان لا ينفصلان،
وحاضران على الدوام في الفكر والممارسة والخطاب والوجدان¹.

إثر تأكيده على ذلك الترابط العضوي بين الجسد والعقل، يضع "فوكو" الجسد في قلب
الاهتمام، ويجعل من العقل مجرد وظيفة، فالجسد هو ما يستحق الاهتمام والرصد، حيث
يجب أن يعبر بكل حرية وبكل تلقائية ومن دون موانع أو قيود؛ لكي يتجلى المكبوت
وتظهر الحقائق دون زيف، لذلك كله لا يرى "فوكو" فائدة ترجى من تغييره، بل يجب أن
يصبح الجسد حاضراً في اليقظة والنمائم وجذوة مستقرة في الوعي واللاوعي، كي لا يغيب
التفكير في المكبوت والمحرم والمقموع، فالانحراف والجريمة والجشع عنوان عريض لتلك
الأعراض المرضية وهي خير من يكشف قيم ثقافية زائفة اضطهدت الجسد وكبلته
وعطلت طاقته ومارست عليه الحجر، لذلك يرى أنه من اللازم إعادة الاعتبار للجسد عبر
الكشف عن المسكوت عنه، فالجسد له فكره، والفكر له جسده ومن لا جسد له، لا فكر
له، لأن الجسد حضور ووعي بالكينونة، لأن الجسد والروح صنوان لا ينفصمان، إذ لا
توجد ذات متعالية فوق الجسد، فهو المأوى والمثوى. ليس هذا فقط، بل إن "فوكو" يؤكد
أن تحقير الجسد وإنكاره وتغييره بمثابة حرب مدمرة للروح أيضاً، لذلك فإن حق الجسد في
الوجود علامة أولى لوجود الروح وسعادتها أيضاً ومن ثم أصبح الجسد والاحتفاء به عند

¹ المرجع نفسه، حسن المصدق البيولوجيا السياسية بين سلطة المعرفة ومعرفة السلطة، ص، 26، 7.

"فوكو" كناية عن الوجود وبالتالي فالاحتفاء بالجسد مجرد حق تم إرجاعه لنصابه بعد أن تم تغييبه طويلاً¹.

وقد عمل "فوكو" على تقديم تحليل علمي للجسد وفق منهجيات جديدة حيث فكك الآليات والنظم المتعددة التي ساهمت في إخضاع الجسد، إذ أن "فوكو" ينطلق من قضية أساسية، وهي أن الجسد كان عرضة لقوى متعددة ساهمت في إخضاعه وترويضه... وهذا ما نوضحه من خلال رؤية "فوكو" التحليلية للجسد، انطلاقاً من مواجهته لـ "نيتشه" و"ميرلو - بونتي"، حيث استطاع ان يؤسس رؤيته حول فكرة الجسد.

في مواجهة "نيتشه" و"ميرلو - بونتي":

انشغل "فوكو" على مدار تحليلاته بالكشف عما يكبل الجسد ويقيده، لأن ذلك في رأيه تكبيل للعقل، فكك أغلال الجسد من آليات التوجيه والنفى والترويض هو إطلاق سراح العقول من سراديب الحجر والزيغ والإثارة والحاجيات المزيفة. كان منشغلاً بفهم كيفية دخول الجسد إلى الخطاب السياسي كتمثيل للسلطة وكيف تُمارس السلطة على الجسد، في المؤسسات المختلفة كالمدرسة والسجن والمصنع والمستشفى، بحيث يتحول الجسد إلى كائن منضبط².

انطلق "فوكو" من قضية محورية، تمثلت في رصد عملية تطبيع الجسد ورصد المؤسسات التي تنتج وتفصل المعرفة العلمية المتعلقة بتطويع الجسد، بالإضافة إلى اهتمامه بدراسة كيف يتم تمثيل الجسد في الممارسات المختلفة بضبط وإدارة الكيان الإنساني.

¹ المرجع نفسه، حسن المصدق البيولوجيا السياسية بين سلطة المعرفة ومعرفة السلطة، 7،26،

² المرجع نفسه، حسن المصدق البيولوجيا السياسية بين سلطة المعرفة ومعرفة السلطة، ص،7،26،

إن القراءة المتمعنة لما يطرحه "فوكو" تكشف أن رؤيته للجسد قد تأثرت بوضوح برؤى "فردريك نيتشه" حول الجسد، كما أن "فينومينولوجيا الجسد" التي فصلها "ميرلو-بونتي" بعد الحرب العالمية الثانية كانت ماثلة في ذهنه أيضاً¹.

لذلك فإن رؤية "فوكو" حول الجسد كانت بمثابة حوار وجدل بناءً مع أفكار كل من "نيتشه" و"ميرلو-بونتي"، لا يعني ذلك أن ثمة اتفاقاً بينه وبينهما، بل إن نقطة الانطلاق لدى "فوكو" تتباين تبايناً حاسماً وحاداً مع رؤيتهما، يمكن توضيح ذلك.

1. في مواجهة فلسفة نيتشه: أولت فلسفة نيتشه، للجسد اهتماماً خاصاً ومجّدت قوته وأعلّت من قيمة إرادة القوة وإرادة السيادة وشدّدت على تحرير الجسد، تلبيةً لريغباته الطبيعية، إذ يقول "نيتشه": "إن الغريزة هي أعظم أنواع الذكاء التي عرفها الإنسان حتى الآن، لقد بالغ الإنسان في تقدير الإدراك العقلي وليس الإدراك سوى عملية ثانوية لإدارة القوة التي تجسدها الغريزة"، وتنسف فلسفة نيتشه تلك الثنائية التراتبية القائمة على تعالي الروح على الجسد، وتقلبها رأساً على عقب، فالجسد هو الجوهر وهو الأصل، أما الروح أو العقل أو النفس فهي مجرد عرض متعلق بالجسد وغير مستقل بذاته.

لقد هاجم "نيتشه" كل المستهزئين بالجسد من المتدينين والفلاسفة المثاليين ويفسر احتقارهم للجسد وإرادة إمامته بأنهم غير قادرين على تحقيق مطامحه، لهذا فهم يتمنون الموت لأجسادهم. يصف "نيتشه" الجسد بأنه عقل عظيم وما العقل إلا أداة صغيرة للجسد، الجسد هو الوجود المادي الظاهر لأننا الباطني المتخفي.

1 ديفيد لوپروتون، انثروبولوجيا الجسد والحداثة، ترجمة محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1997 ص 103

يرى "فوكو" أن الأهمية التي يعطيها "نيتشه" للجسد مُبرّرة، إلا أن "فوكو" يرى من زاوية أخرى أن "نيتشه" قد أعطى الجسد حرية تحرك كبيرة للغاية ورأى فيه رمزاً لمواجهة الحداثة والعقلانية على خلاف ما يذهب إليه فوكو¹.

فالجسد في رؤية "نيتشه" ليس جسداً خاضعاً وديعاً، بل على العكس فهو يراه أكثر فاعلية وسلاحاً في المعركة ضد الميتافيزيقا وأداة الخطاب الفلسفي نحو حياة وعصر الإنسان الكامل ووسيلة لنقد معطيات الحداثة بكل أساطيرها وقيمها ورؤاها.

أما "فوكو" فيعتقد أن الجسد ليس مجرد كيان طبيعي وإنما هو كيان يتم إنتاجه اجتماعياً من خلال نظم المعرفة والسلطة، بحيث يصبح جسداً ليناً طيِّعاً.

2. في مواجهة فلسفة ميرلوبونتي:

يتجلى الاختلاف بين رؤية "ميرلو-بونتي" ورؤية "فوكو" حول الجسد، فعلى الرغم من أن الاثنين ينطلقان من مقدمات مشتركة، من قبيل أنهما قد رسدا تجاهل مسألة الجسد في الفكر الفلسفي التقليدي وأخذا موقفاً معارضاً لذلك التجاهل من خلال التركيز على قضية الجسد في أعمالهما، كما أن كليهما عارضا التصور "الأكاديمي" الغربي السائد حول الجسد، باعتباره نظاماً فسيولوجياً موضوعياً مغلقاً، كان التحدي الخاص بفلسفة كل منهما حول الجسد هو تقديم بديل لذلك التصور، وأخيراً فثمة توافق بينهما حول ذلك التصور البديل وهو أنهما يركزان على السياق الاجتماعي- التاريخي للجسد، حيث يصوران الجسد كحامل للإشارات والسلوكيات، وينبغي فهمه كتعبير عن المخزون الثقافي العام، على الرغم من كل ذلك، إلا أن ثمة تبايناً واضحاً بينهما، يكمن بشكل أساسي في الطريقة التي طوّرت من خلالها كل منهما أفكاره حول الجسد.

¹ المرجع نفسه، ديفيد لوپروتون، انثروبولوجيا الجسد والحداثة، ص 103

انطلق "ميرلو بونتي" في تأسيس نظريته حول الجسد من تجاوزه للكوجيتو الديكارتي، فالوجود عند "ديكارت" مرتبط بالذات المفكرة، أي بالوعي الخالص المتعالي، بينما يرى "ميرلو بونتي" أن هذا الوعي بتعالیه هو وعيٌ منغلِق على ذاته، في حين أن الوعي يعني الوعي بشئ ما، إنه ينزع إلى موضوعات العالم، هذا من خلال استناده إلى مبدأ القصدية الذي هو أساس الفلسفة الفينومينولوجية، فالتفكير هو يقصد الأشياء أي موضوعات موجودة في العالم، فالأنا (أفكر) يتجه إلى العالم، فهو وجود في العالم، وما دام كذلك فالأنا (أفكر) هو وجود محسوس واقعي في الـ (هنا) والـ (آن) - في المكان والزمان - فالذات الواعية هي الذات المتجسدة تعبر عن الوجود الجسماني.

وهكذا فإن إن الوعي عند "ميرلو - بونتي" هو وعي جسماني ملتحم بالعالم، فالأنا العارف الواعي هو الأنا المتجسد في الواقع، حيث يصبح الوعي عند "ميرلو بونتي" هو الجسد، والجسد هو التعبير الواقعي عن الوعي، إن انتقاله من الأنا الواعي إلى الأنا المتجسد يعكس تحقق وجود الذات، فلا انفصام بينهما "فالجسد بالنسبة للذات هو تأكيد الوجود".

إن "ميرلو بونتي" يتصور الجسد ككيان حيّ وفاعل ناشط، ممثّل للحياة النابضة، أما "فوكو" فيرى الجسد مفعولاً به ومنسحقاً تاريخياً وسياسياً وممثلاً لمنهج التدوين فكل الممارسات التاريخية مدونة عليه، إن تصوري "فوكو" و"ميرلو بونتي" للجسد يمثلان نقطتين على طرفي نقيض، الأول يمثّل السلبية Passivity بينما يمثّل الثاني الإيجابية Activity، "فوكو" يتصور الجسد كمستقبل سلبي للقوى السياسية والتاريخية وعرضه لتقنيات السلطة وخاضعاً لها، أما "ميرلو بونتي" فيتبنى وضعاً مخالفاً تماماً، إنه يؤكد على الأساس الثقافي للفعل ويؤكد على قدرة الجسد الإيجابية في استخدام وتطوير القوى الاجتماعية والسلوكية المقننة حوله، يعتمد الجسد على المهارات والأدوات الثقافية المتاحة أمامه، كما أنه مسؤول بنفس الدرجة عن إعادة إنتاج تلك المهارات والأدوات وأكثر من

ذلك، فإن أفعال الجسد المنظمة والطبيعية هي المسئولة عن إعادة إنتاج البناء الاجتماعي والزمن.

تأسيس رؤية فوكو للجسد:

انطلاقاً من مواجهة ومناقشة "فوكو" لـ"نيتشه"، و"ميرلو - بونتي" وغيرهما تتأسس رؤية "فوكو" للجسد، وهي رؤية مغايرة ومفارقة لمجمل الخطاب الفلسفي حول الجسد، فهو لا يطرح قضية الجسد في إطار ثنائية الروح / الجسد كما تتجلى لدى "أفلاطون" و"ديكارت" ولا كجسد أعلى "للسوبر مان" كما يقول "نيتشه"، ولا ككيان نابض كما يقدمه "ميرلو بونتي" ولم يتناوله بطبيعة الحال كمعطى فيزيولوجي ثابت في ميادين البيولوجيا والديموجرافيا والباثولوجيا، بوصفه مجالاً للحاجات والرغبات ومكاناً للوظائف الحيوية كالهضم والتنفس والبناء. الخ، ومأوى لهجوم الميكروبات والفيروسات.

لقد كان "فوكو" منشغلاً على مدار تحليلاته بالكشف عما يكبل الجسد ويقيده، لأن ذلك في رأيه تكبيل للعقل، ففك أغلال الجسد من آليات التوجيه والنفي والترويض هو إطلاق سراح العقول من سراديب الحجر والزيف والإثارة والحاجيات المزيفة¹.

اهتم "فوكو" بالبعد السياسي في تاريخ الجسد، أي علاقة الجسد بالسلطة، إنه منحرس في علاقات السلطة، حيث تعمل السلطة فيه عملاً مباشراً، فهي توظفه وتطبعه وتقومه، وتعذبه وتجبره على أعمال، وتضطره إلى احتقالات وتطالبه بدلالات.

ففي أعماله المبكرة، كان "فوكو" يدرس كيف يمكن للجسد أن يظهر في ممارسات مختلفة تساهم في ضبطه وإدارته، ففي ولادة العيادة كان مشغولاً بفهم كيف تنتج المعرفة والممارسة الطبية الجسد وكيف تطوعه داخل شبكة المؤسسات المستقرة للسلطة الطبية².

¹ مرجع سابق، حسن المصدق البيولوجيا السياسية بين سلطة المعرفة ومعرفة السلطة، ص 26.7

² ولادة العيادة

فالطب لدى "فوكو" يمثل أحد النظم الأساسية التي ساهمت في إخضاع الجسد ووضبطه، فقد تنامت السلطة الطبية وبسطت قبضتها على كل المجالات تحت دعوى رفع مستوى رفاهية الأفراد والسكان وكان هذا الاتجاه فعالاً للغاية خاصة مع إحلال الطب الآلي محل الطب الإنساني.

لقد كشفت نظريات "فوكو" إلى أي حد قام الطب المؤسسي بموضعة الجسد حيث تمت صياغته طبيياً بحيث أصبح الجسد مجرد كيان طبيعي، يخلق ويعاد إنتاجه من خلال الخطاب، ويكشف "فوكو" كيف أضحت السلطة الطبية إستراتيجية منظمة بسطت هيمنتها على أجساد الأفراد وسلوكياتهم، لقد صار الطب مؤسسة تضم خبراء ومستشارين محترفين تقدم حقائق مفصلية عن الجسد، وساهمت السلطة الطبية من خلال خطابها العلمي في "موضعة" الأجساد المريضة عندما بدأت عمليات التشخيص الطبي في تحديد "السواء" و"الشذوذ" وتحديد الإجراءات اللازمة للوصول إلى مستوى "السواء".

وفي دراسته عن مولد السجن حلل "فوكو" نمو الجسد المنضبط والوديع كنتيجة للممارسات العقابية التي اقترنت بالنظرية النفعية للألم¹. وفي دراسته عن تاريخ الجنس كشف عن أن بروز خطاب الجنس في القرن التاسع عشر أظهر الجنس كموضوع أو قضية مهمة، وكشف عن أن الجنس قد أضحى مادة للصراع السياسي تُمارس من خلال معرفة طبية محددة

فالجنس كمظهر من مظاهر أنشطة الجسد يشكل رهاناً سياسياً، فهو من جهة يرتبط بأشكال ضبط الجسد: ترويض، تقوية، توزيع القوى، تدبير الطاقة، ومن جهة أخرى يرتبط بتنظيم السكان مع كل ما يثيره هذا التنظيم من قضايا².

¹ مولد السجن

² زينب المعادي الجسد الأنثوي وحلم التنمية: قراءة في التصورات عن الجسد بمنطقة الشاوية، دار النشر

لقد انهار الجسد -وفق رؤية فوكو- بفعل العديد من النظم، لقد انهار من إيقاع العمل، وعدم الراحة، وسُم بالطعام أو "القيم" من خلال خضوعه للعادات والقوانين الأخلاقية، لقد انسحق الجسد كلياً عبر التاريخ.

إن الجسد في فكر "فوكو" إذاً واقع تحت تأثيرات قوى متعددة ومنتامية تعمل على تطويعه، وقد كشف "فوكو" باقتدار عن هذه التأثيرات من خلال ما أبدعه من أدوات منهجية؛ شكلت في ذاتها نقلة نوعية في منهجيات العلوم الإنسانية.

المبحث الثاني: آليات إخضاع الجسد "رؤية فوكويه"

يُعمّق "فوكو" في دراساته المتعددة الإطار النظري للتعامل مع مفهوم الجسد من قلب العلوم الإنسانية، ففي تحليله لأشكال ومظاهر السلطة في العالم العربي يستخدّم الجسد ككاشف ثمين لتحليل آليات السلطة في المجتمع العربي المعاصر، يُشكل إحدى أهمّ الوسائط التي استُخدمت لممارسة وتمرير سلطه مُغلقة، ورقابه سياسية رهيفه، يتحدّث عن انتقال السلطة المُمارسة على الأفراد ممّا يُسمّيه "امتلاك حقّ الحياة أو الموت" حين كان الملك يملك حقّ التصرف في حياة رعاياه إلى الحرص على الحياة وعلى تدبيرها، هذا الحرص تطوّر منذ القرن السابع عشر في شكلين أساسيين لممارسة السلطة والرقابة على

الجسد يُعَبَّرُ عَنْهُمَا "فَوَكَّو" بِمَفْهُومَيْنِ مُرَكَّزَيْنِ هُمَا: التَّشْرِيحُ السِّيَاسِيُّ لِلْجَسَدِ وَالْبُيُولُوجِيَا السِّيَاسِيَّةِ لِلسُّكَّانِ¹.

وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ عَمَلِيَّتِي التَّشْرِيحُ السِّيَاسِيُّ لِلْجَسَدِ وَالْبُيُولُوجِيَا السِّيَاسِيَّةِ لِلسُّكَّانِ تَمَثَّلَانِ الْبَيْتَيْنِ نَاجِعَتَيْنِ لِإِخْضَاعِ الْجَسَدِ وَتَطْوِيعِهِ وَ"اسْتِثْمَارِهِ"، بِحَيْثُ يُمَكِّنُ الْإِسْتِنْفَادَةَ مِنْهُ بِأَكْبَرَ قَدْرِ مُمْكِنٍ. يُقَرَّرُ "فَوَكَّو" فِي هَذَا الصِّدَدِ، التَّشْرِيحُ السِّيَاسِيُّ لِلْجَسَدِ وَالْبُيُولُوجِيَا السِّيَاسِيَّةِ لِلسُّكَّانِ، يُشَكِّلَانِ الْقُطْبَيْنِ الْأَسَاسِيَيْنِ الَّذِينَ يَدُورُ حَوْلَهُمَا تَنْظِيمُ وَمُمَارَسَةُ الْقُوَّةِ عَلَى الْجَسَدِ، يُسَمِّيهِمَا "فَوَكَّو" بِالْيَاثِ إِخْضَاعِ الْجَسَدِ.

التَّشْرِيحُ السِّيَاسِيُّ لِلْجَسَدِ: يَرْكُزُ فِي الْعَمَلِ عَلَى تَدْحِينِ الْجَسَدِ وَتَرْوِيطِهِ مِنْ خِلَالِ زِيَادَةِ قُدْرَاتِهِ الْإِنْتِاجِيَّةِ، إِنْهَاكَ قُوَّتِهِ وَتَنْمِيَّةَ نَفْعِهِ وَخُضُوعِهِ فِي أَنَّ وَاحِدٍ وَدَمَجِهِ فِي انْسَاقِ رِقَابِهِ صَارِمَةٍ سِيَاسِيَّةٍ وَاقْتِصَادِيَّةٍ .

الْحَقِيقَةُ أَنَّ "فَوَكَّو" كَانَ مُشْغَلًا بِفَهْمِ طَبِيعَةِ الْمُمَارَسَاتِ الْمُصَاحَبَةِ لِلنَّظَامِ الرَّأْسِمَالِيِّ، الَّتِي أُنتِجَتْ الْجَسَدُ الْوَدِيعُ وَالْجَسَدُ الْمُنْضَبِطُ وَالْجَسَدُ الْمُنْتَجِجُ، لَقَدْ تَصَوَّرَ ظُهُورَ نَمَطٍ جَدِيدٍ مِنَ الْمُجْتَمَعِ يُسَمِّيهِ الْمُجْتَمَعُ الْجَسَدِيَّ

لَقَدْ انْهَارَ الْجَسَدُ وَفُقَ رُؤْيَا "فَوَكَّو" بِفِعْلِ الْعَدِيدِ مِنَ النِّظْمِ، انْهَارًا مِنْ إِيقَاعِ الْعَمَلِ وَعَدَمِ الرَّاحَةِ وَسُمِّمَ بِالطَّعَامِ أَوْ "الْفَيْمِ" مِنْ خِلَالِ خُضُوعِهِ لِلْعَادَاتِ وَالْقَوَانِينِ الْأَخْلَاقِيَّةِ، لَقَدْ انْسَحَقَ الْجَسَدُ كُلِّيًّا عَبْرَ التَّارِيخِ.

يَقُولُ "فَوَكَّو" فِي كِتَابِ "الْمُرَاقَبَةُ وَالْعِقَابُ" الَّذِي صَدَرَ فِي عَامِ 1975م، "أَنَّ الْجَسَدَ غَارِقَ مُبَاشَرَةً فِي الْمَيْدَانِ السِّيَاسِيِّ، فَعَلَّاقَاتِ السُّلْطَةِ تُمَارَسُ تَأْثِيرًا مُبَاشِرًا عَلَيْهِ، إِنَّهَا تَسْتِثْمِرُهُ، تُوصِمُهُ، تَرَوِّضُهُ، تُعَدِّبُهُ، تَفْرُضُ عَلَيْهِ أَعْمَالًا، تُلْزِمُهُ بِاسْتِعْرَاضَاتٍ، تُطَلِّبُ مِنْهُ إِشَارَاتٍ

¹ مرجع سابق، زينب المعادي ، الجسد الأنثوي وحلم التنمية ، قراءة في التصورات عن الجسد بمنطقة الشاوية ، 2004، ص 23-

... وَكُلُّ ذَلِكَ مُرْتَبِطٌ بِمُبَاشَرَةِ بِالنِّظَامِ الْاِقْتِصَادِيِّ، لِأَنَّ الْجَسَدَ مُفِيدَ وَمُنْتَجِ فِي ذَاتِ الْآنِ،
إِنَّمَا لَا يُمَكِّنُ تَشْغِيلَ النَّاسِ بِصُورَةٍ فَعَالَةٍ وَمَرِيحَةٍ، إِلَّا عِنْدَمَا يَكُونُونَ قَدْ "أَسْرُوا" فِي نِظَامِ
اجْتِمَاعِي، حَيْثُ الْحَاجَةُ هِيَ أَيْضًا أَذَاهُ سِيَاسِيَّةٍ مُعَدَّةٍ وَمُدْرُوسَةٍ وَمُسْتَخْدَمُهُ بِعِنَايَةٍ. لَا
يُصْبِحُ الْجَسَدُ قُوَّةً مُفِيدَةً إِلَّا إِذَا كَانَ الْجَسَدُ مُنْتَجًا خَاصِعًا فِي ذَاتِ الْوَقْتِ"¹.

يَخْلُصُ "فُوكُو" فِي النِّهَايَةِ إِلَى قَضِيَّةٍ أَسَاسِيَّةٍ فِي هَذَا الصِّدَدِ وَهِيَ أَنَّ الْجَسَدَ يُمَثِّلُ
الْمُحَصَّلَةَ التَّارِيخِيَّةَ لِلْعَلَاقَةِ بَيْنَ الْمَعْرِفَةِ وَالْقُوَّةِ الَّتِي تُنْتِجُ وَاقِعِيًّا أَنْمَاطًا مُخْتَلِفَةً مِنَ الْأَجْسَادِ
الْخَاصِعَةِ وَهَذِهِ الرُّؤْيَةُ تَتَّبَانِ مَعَ رُؤْيِ الْفَلَسِيفَةِ الْوُجُودِيِّينَ وَالْفَيْنُومِيُولُوجِيِّينَ مِنْ أَمْثَالِ،
"سَارْتِر" وَ"مِيرَلُو بُونْتِي".

أَمَّا الْآلِيَةُ الثَّانِيَّةُ، وَهِيَ، الْبِيُولُوجِيَا السِّيَاسِيَّةُ لِلسُّكَّانِ: فَهِيَ تَرْتَبِطُ بِتَنْظِيمِ الْحَيَاةِ الْبَشَرِيَّةِ
بِنَقْنِيَّاتٍ وَوَسَائِلٍ وَأَدَوَاتٍ عِلْمِيَّةٍ صَارِمَةٍ، لَا تَشْمَلُ الرُّوحَ فَحَسْبُ وَإِنَّمَا تَتَّضَمَّنُ الْجَسَدَ
أَيْضًا، حَيْثُ اعْتَمَدَتْ فِي نِهَآيَةِ الْقَرْنِ الثَّامِنِ عَشَرَ وَبِدَآيَةِ الْقَرْنِ الثَّاسِعِ عَشَرَ، مَجْمُوعَةً
مِنَ التَّدَابِيرِ الْإِدَارِيَّةِ وَالْإِجْرَاءَاتِ الْعَمَلِيَّةِ اسْتِعَارَتِهَا السِّيَاسَةَ مِنَ الْبِيُولُوجِيَا وَالْاِقْتِصَادِ
وَالرِّيَاضِيَّاتِ وَعِلْمِ الْإِحْصَاءِ لِتَدْبِيرِ مَجَالَاتِ الْكَائِنِ الْحَيِّ مِنْ صِحَّةٍ وَعِمْرَانٍ وَتَعْلِيمٍ،
تَعَدَّتْهَا بَعْدَ ذَلِكَ لِضَبْطِ الْمَجَالِ الْعَامِّ وَالْخَاصِّ بِالْإِنْسَانِ مِنْ زَوَاجٍ وَمَوَالِيدٍ وَوَفِيَّاتٍ وَتَحْدِيدِ
النَّسْلِ، وَتَدَابِيرِ الْإِنْقَآذِ وَالْإِسْعَافِ فِي حَالَةِ الْأُوبْنَةِ وَالْكَوَارِثِ الطَّبِيعِيَّةِ².

لَقَدْ تَجَلَّتْ تَقْنِيَّةُ السَّيْطَرَةِ عَلَى الْجَسَدِ وَإِخْضَاعِهِ فِي عَصْرِ التَّنْوِيرِ فِي تَنْظِيمِ الرِّقَابَةِ عَلَى
الْحَيَاةِ عَبْرَ ضَبْطِ الْجَسَدِ وَتَنْظِيمِ السُّكَّانِ وَتَمَيَّزَتْ بِأَنَّهَا ذَاتُ بَعْدِ بِيُولُوجِيَّيِ تَشْرِيحِي، فَلَمْ
يَعُدَّ الْقَتْلُ مَهْمًا بِالنَّسْبَةِ لِلسُّلْطَةِ السِّيَاسِيَّةِ، بَلْ الْمُهْمُ هُوَ اسْتِثْمَارُ الْحَيَاةِ مِنْ خِلَالِ اسْتِثْمَارِ
الْجَسَدِ، إِدَارَتِهِ، تَدْبِيرِهِ، يُعْتَبَرُ "فُوكُو" إِنَّ السُّلْطَةَ عَلَى الْجَسَدِ كَانَتْ مِنْ أَهْمِ الْعَنَاصِرِ فِي

¹ دريفوس وبول راينوف (د.ت) ميشيل فوكو: مسيرة فلسفية، ترجمة جورج أبي صالح، مركز الإنماء العربي، بيروت ص 104

² مرجع سابق، حسن المصدق، البيولوجيا السياسية بين سلطة المعرفة ومعرفة السلطة، جريدة العرب الدولية، ص 26، 7

نُموُّ الرأسماليَّة الذي لم يكن ليتحقَّق إلا بالدمج المَضبوطُ والمُراقب للجسدِ في جهازِ الإنتاجِ وبِواسطةِ تكييفِ الظواهرِ السُكَّانيَّةِ مع التغيُّراتِ الإقتصاديَّة¹.

وَإِذَا كَانَتْ الأجهزَةُ الكُبرى لِلدَّولةِ كَمُؤَسَّساتِ سَلطَةٍ قَدْ ضَمِنَتْ تَثْبِيتَ عَلاقاتِ الإِنتاجِ، فَإِنَّ البِئُولُوجِيَا السِّيَاسِيَّةَ وَالتَّشْرِيحَ السِّيَاسِيَّ أَيْضًا -كَتَقْنِيَّتِي سَلطَةٍ حَاضِرَتَانِ عَلَى كُلِّ مُستَوِيَّاتِ الجسدِ الإِجتماعِيِّ، وَمُستخدِمَتَانِ مِنْ جَانِبِ مُؤَسَّساتِ مُختَلِفةٍ كالأُسرةِ وَالجيشِ وَالْمَدْرَسَةِ وَالشُّرطَةِ وَالتَّطَبُّبِ وَالسُّجُونِ، قَدْ أَثَرَتَا عَلَى مُستَوَى العَمَلِيَّاتِ الإِقتصاديَّةِ، كَمَا تَمَّ اسْتِعْمَالُهَا كعَوَامِلٍ لِتَبْرِيرِ التَّمْيِيزِ وَالتَّرْتِيبِيَّةِ الإِجتماعِيَّةِ وَبِالتَّالِي لِتَبْرِيرِ عَلاقاتِ الهَيْمَنَةِ، لَقَدْ كَانَ تَكْيِيفُ تَرَاكُمِ البَشَرِ مَعَ تَرَاكُمِ رَأْسِ المَالِ وَتَكْيِيفُ نُموِّ الجَمَاعَاتِ الإِنسانِيَّةِ مَعَ تَوَسُّعِ قُوِي الإِنتاجِ وَالتَّوَزِيعِ اللامْتساوِي لِلأَرْباحِ مُمكِنًا بِفَضْلِ مُمارَسَةِ ما يُسَمِّيهِ "فوكُو" السُّلطةَ البِئُولُوجِيَّةِ فِي إِشكالِها المُتَنَوِّعةِ، فَاسْتِثْمَارِ الجسدِ الحَيِّ وَتَدْبِيرِ قُوَاهِ وَمَنَحِهِ قِيَمَةَ أَشياءَ ضَرُورِيَّةٍ لا عَنَى عَنها لِنُموِّ وَاسْتِمرارِ النِّظامِ الرأسماليِّ...².

لَقَدْ تَبَيَّنَ لِلحُكُومَاتِ فِي نِهايَةِ القَرْنِ السَّابِعِ عَشَرَ وَبِدايَةِ القَرْنِ الثَّامِنِ عَشَرَ، أَنَّها لَيْسَتْ مَعْنِيَّةٌ "بالشَّعب" أَوْ "بالرَّعيَّة" بَلْ مَهْمَمَةٌ "بِظاهِرَاتٍ" مَحْدُودَةٌ قُطَّاعِيَا هِيَ الظَّاهِرَاتِ السُكَّانيَّةِ كَالصِّحَّةِ وَالوِلادَةِ وَالتَّغذِيَّةِ وَالسَّكَنِ وَالإِهْتِمَامِ بِالْمَكَانِ؛ لِأَنَّ الجسدَ ذَاتِهِ بِالنَّسْبَةِ لَهَا، لَهُ مَكَانٌ، فَالسُّلطةُ البِئُولُوجِيَّةُ هِيَ الشُّكْلُ الَّذِي حَاوَلَتْ بِهِ الحُكُومَاتُ مُنذُ القَرْنِ الثَّامِنِ عَشَرَ عَقْلُهُ المُشكِلَاتِ الَّتِي تَطْرَحُها ظَوَاهِرُ خَاصَّةً بِمِجمُوعَةٍ مِنْ "الأَحْياءِ" الَّذينَ تُشكِلُوا كَسْكانِ عَلَى الحُكُومَةِ، كَالعَافِيَّةِ وَقَوَاعِدِ الصِّحَّةِ وَمَعَدَّلِ الأَعْمَارِ وَالأنسابِ ... الخ".

وَقَدْ كَتَبَ "فوكُو" فِي كِتابِهِ إِرادَةَ المَعْرِفَةِ أَنَّهُ يُريدُ تَوْضِيحَ الكِيفِيَّةِ الَّتِي تَرْتَسِمُ بِها أَجهزَةُ الدَّولةِ عَلَى الجسدِ وَعَلَى وَظائِفِهِ البِئُولُوجِيَّةِ وَعَمَلِيَّاتِهِ النَّفْسِيَّةِ، فَنَمَّةٌ ارْتِباطَ بَيْنَ التَّارِيخِيِّ وَالْبِئُولُوجِيِّ، وَنَمَّةٌ تُعَقَدُ يَنصاعَدُ بِاسْتِمرارٍ مَعَ تَطوُّرِ التَّقْنِيَّاتِ الحَدِيثَةِ لِلسُّلطةِ الَّتِي تُتَّخَذُ

¹ زينب المعادي (2004) الجسد الأنثوي وحلم التنمية: قراءة في التصورات عن الجسد بمنطقة الشاوية، ص 24، 25

² نفس المرجع، زينب المعادي الجسد الأنثوي وحلم التنمية، ص 25

الْحَيَاةَ كَهَدَفٍ لَهَا، يَقُولُ "فوكو": "لَا يَتَعَلَّقُ الْأَمْرُ بِتَارِيخِ لِعَقْلِيَّاتٍ لَنْ يَهْتَمَّ بِالْأَجْسَادِ إِلَّا حَسَبِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي نَذَرُهَا بِهَا أَوْ نُعْطِيهَا بِهِ دَلَالَةً وَمَعْنَى، وَلَكِنْ الْأَمْرُ يَنْبَغِي أَنْ يَتَعَلَّقَ بِتَارِيخِ لِلْأَجْسَادِ يَهْتَمُّ بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي اسْتَنْمِرَ بِهَا مَا هُوَ أَكْثَرُ مَادِيَّةً وَأَكْثَرُ حَيَوِيَّةً فِيهَا". وَيُوضِّحُ "فوكو" إِنَّ مُمَارَسَةَ السِّيَاسَةِ الْحَيَوِيَّةَ لَا تَزَالُ مُسْتَمِرَّةً فِي الْمَجْتَمَعَاتِ الْمُعَاصِرَةِ، فَالدَّوْلَةُ الْحَدِيثَةُ تَهْتَمُّ بِصُورَةٍ مُتْرَابِدَةٍ بِتَنْظِيمِ الْأَجْسَادِ الْإِنْسَانِيَّةِ مِنْ خِلَالِ النُّشْرِيَعَاتِ الطَّبِيَّةِ الَّتِي تَعْنِي بِقَضَايَا كَالْإِجْهَاضِ، رِعَايَةَ الْأَطْفَالِ، الْإِهْتِمَامَ بِالْإِيدِزِ كَوَبَاءِ حَدِيثِ، وَالنُّشْرِيَعَاتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِحُقُوقِ الْمَوَاطِنَةِ فِيمَا يَخُصُّ التَّغْيِيرَاتِ النَّوْعِيَّةِ وَالْعَلَاَقَاتِ الْمَثَلِيَّةِ وَغَيْرِهَا.

إِنَّ عَمَلِيَّةَ "تَسْبِيْسِ" الْجَسَدِ تُعِيدُ التَّأَكِيدَ عَلَى الْعَلَاَقَةِ الْمُعَقَّدَةِ بَيْنَ الْمَوَاطِنَةِ وَالْجَسَدِ وَالنُّوعِ وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ التَّغْيِيرَاتُ الْهَائِلَةُ فِي سِيَاسَاتِ الْجِنْسِ إِحْدَى الْعَمَلِيَّاتِ الْهَامَّةِ الَّتِي أَسْهَمَتْ فِي الظُّهُورِ الْمُعَاصِرِ لِلْجَسَدِ فِي النَّظَرِيَّةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ.

وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ بَرَامِجَ تَنْظِيمِ الْأَسْرَةِ الَّتِي تَرُوجُ لَهَا حُكُومَاتِ الْعَالَمِ الثَّلَاثِ تَمَثَّلُ نُمُودًا بَيِّنًا وَ"خَاطِبًا" لِلْبِيُولُوجِيَا السِّيَاسِيَّةِ لِلسُّكَّانِ، حَيْثُ تُخْتَرَلُ الْحُكُومَاتِ مَشْكَالَاتِ الْفَقْرِ وَالْبَطَالَةِ وَالْمَرَضِ وَغَيْرِهَا فِي زِيَادَةِ مَعْدَلِ الْمَوَالِيدِ وَهِيَ بِهَذَا الْمَعْنَى تُعِيدُ إِنتَاجَ النَّظَرِيَّةِ الْمَالْتَسِيَّةِ الَّتِي ثَبَّتَ زَيْفَهَا وَعَنْصَرِيَّتَهَا وَتُحَاوِلُ الْحُكُومَاتِ بِأَسَالِيبِ سَطْحِيَّةِ الْحَدِّ مِنْ الزِّيَادَةِ السُّكَّانِيَّةِ، دُونَ الْإِنْفَاتِ إِلَى تَنْمِيَةِ قُدْرَاتِ هَوْلَاءِ السُّكَّانِ وَتَحْوِيلُهُمْ إِلَى قَوِيٍّ إِنتَاجِيَّةِ فَعَالَةٍ، بِحَيْثُ يُصْبِحُ أَلْسُكَانَ عَامِلًا لِلتَّنْمِيَّةِ وَلَيْسَ مُعَوِّفًا لَهَا، الْلَا فِت لِلنَّظَرِ فِي هَذَا الْإِطَارِ أَنَّهُ حَتَّى مَعَ التَّعَامُلِ أَلْسَطْحِي لِلْمُشْكَلَةِ، فَإِنَّ مُعَالَجَتَهَا إِعْلَامِيًّا تَنَمُّ بِشَكْلِ قَاصِرٍ لَا يَتَغَلَّعَلُ إِلَى أَعْمَاقِ الْبُنْيَةِ النَّقَافِيَّةِ بِمَا تَحْتَوِيهِ مِنْ قِيَمٍ وَمُعْتَقَدَاتٍ وَرَوَى مُتَبَايِنَةً لِلْعَالَمِ.

المَبْحَثُ الثالث: نقد ومناقشة وتقييم "رؤية شخصيه"

يُعتَبَرُ مِيشِيلُ "فوكو" الجسدَ جُزْءًا أَساسِيًّا مِنْ الهُويَّةِ البَشَرِيَّةِ وَالوَعْيِ. يُؤْمَنُ "فوكو" بِأَنَّ الجسدَ هُوَ الوَسِيلَةُ الَّتِي يَتَعَامَلُ بِهَا الفَرْدُ مَعَ العَالِمِ وَيَتَفَاعَلُ مَعَهُ. يَرَى أَنَّ الجسدَ يُحْمَلُ القُدْرَةَ عَلَى الإندِمَاجِ مَعَ البيئَةِ المُحِيطَةِ بِهِ وَيُعَبَّرُ عَنِ الهُويَّةِ الفَرْدِيَّةِ.

وَاعتِبَارًا لِذَلِكَ، فَإِنَّ فوكو يُشَدِّدُ عَلَى أَهمِّيَّةِ فَهْمِ الجسدِ وَمُمَارَسَتِهِ فِي الحَيَاةِ اليَوْمِيَّةِ. يَعْتَقِدُ أَنَّ الجسدَ يُحْمَلُ ذَاكِرَةَ الخِبْرَاتِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْحِكْمَةِ، وَأَنَّهُ يُمَكِّنُ اسْتِخْدَامَهُ كَأَدَاةٍ لِلتَّعْبِيرِ وَالتَّوَاصُلِ. يُعتَبَرُ فوكو إِنَّ الجسدَ هُوَ المَكَانُ الَّذِي يَجْتَمِعُ فِيهِ الجسدُ والعَقْلُ والرُّوحُ، وَمِنْ خِلَالِهِ يُمَكِّنُ لِلْفَرْدِ أَنْ يَعِيشَ حَيَاةً مَعْنَوِيَّةً وَمَتَوَازِنَةً.

وَبِالإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ، يَرَى "فوكو" إِنْ الجَسَدِ هُوَ المَوْقِعُ الَّذِي يَتِمُّ مِنْ خِلَالِهِ تَشْكِيلُ السُّلْطَةِ وَالسَّيْطَرَةَ فِي المُجْتَمَعِ. يَعْتَقِدُ أَنَّ الجَسَدَ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا لِلقُوَّةِ وَالسَّيْطَرَةِ، وَأَنَّ اسْتِغْلَالَ الجَسَدِ وَتَحَكُّمِهِ فِيهِ يُمَكِّنُ أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَى اسْتِغْلَالِ الأَفْرَادِ وَالقَمْعِ.

بِاخْتِصَارٍ، يَرَى فوكو إِنْ الجَسَدِ لَيْسَ مُجَرَّدَ وَعَاءِ بَدَنِي، بَلْ هُوَ جُزْءٌ لَا يَتَجَزَّأُ مِنَ الهُويَّةِ البَشَرِيَّةِ وَالتَّجْرِبَةِ الحَيَاتِيَّةِ. وَبِالتَّالِي، يُعْتَبَرُ فَهْمُ الجَسَدِ وَالتَّوَاصُلِ مَعَهُ أَمْرًا حَيَوِيًّا لِتَحْقِيقِ الحُرِّيَّةِ وَالتَّحَرُّرِ الشَّخْصِيِّ.

يُعَمِّقُ "فوكو" فِي دِرَاسَاتِهِ المَتَعَدِّدَةَ الإِطَارَ النَّظْرِيَّ لِلتَّعَامُلِ مَعَ مَفْهُومِ الجَسَدِ مِنْ قَلْبِ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ، فِي تَحْلِيلِهِ لِشَكَالِ وَمُظَاهِرِ السُّلْطَةِ فِي العَالَمِ العَرَبِيِّ يَسْتَخْدِمُ الجَسَدَ ككَاشِفٍ ثَمِينٍ لِتَحْلِيلِ آيَاتِ السُّلْطَةِ فِي المُجْتَمَعِ العَرَبِيِّ المُعَاصِرِ، وَيُعْتَبَرُ أَنَّهُ يُشْكَلُ إِحْدَى أَهَمِّ الوَسَائِطِ الَّتِي اسْتُخْدِمَتْ لِمُمارَسَةِ وَتَمْرِيرِ سَلْطَةِ مُغْلَقَةٍ، وَرِقَابِهِ سِيَّاسِيَّةٍ رَهِيْفَةٍ، حَيْثُ يَتَحَدَّثُ عَنِ انْتِقَالِ السُّلْطَةِ المُمَارَسَةِ عَلَى الأَفْرَادِ مِمَّا يُسَمِّيهِ "امْتِلاكِ حَقِّ الحَيَاةِ أَوْ المَوْتِ" حِينَ كَانَ المَلِكُ يَمْلِكُ حَقَّ التَّصَرُّفِ فِي حَيَاةِ رَعَايَاهُ، إِلَى الحِرْصِ عَلَى الحَيَاةِ وَعَلَى تَدْبِيرِهَا، هَذَا الحِرْصُ تَطَوَّرَ مُنْذُ القَرْنِ السَّابِعِ عَشَرَ فِي شَكْلَيْنِ أُسَاسِيَّيْنِ لِمُمارَسَةِ السُّلْطَةِ وَالرِّقَابَةِ عَلَى الجَسَدِ يُعَبَّرُ عَنْهُمَا "فوكو" بِمَفْهُومَيْنِ مُرْكَزِيَّيْنِ هُمَا: التَّشْرِيحُ السِّيَاسِيُّ لِلجَسَدِ، وَالبُيُورُوجِيَا السِّيَاسِيَّةُ لِلسُّكَّانِ¹.

لَمْ يُسَلِّمْ "فوكو" كَعَبْرَةٍ مِنَ المَفْكَرِيَّيْنِ مِنَ النِّقْدِ، يَظْهَرُ ذَلِكَ فِي الجِدَالِ الدَّائِرِ حَوْلَ سَلُوكِيَّاتِ بَعْضِ النُّخْبَةِ الفِكْرِيَّةِ وَمَنْ ضَمَّنَهُمْ "فوكو". مِنَ الوَاجِبِ التَّشْدِيدِ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الجَوَانِبِ اللَّأَخْلَاقِيَّةِ أَوْ المُنْبُوذَةِ وَالتَّفَاصِيلِ الحَيَاتِيَّةِ الخَاصَّةِ لَا تُنْتَقَصُ تَمَامًا مِنْ قِيَمَةٍ مَا خَلَفَهُ مِنْ إِرْثِ مَعْرِفِيٍّ ثَقِيلٍ وَأَفْكَارِ عَزِيْزَةٍ فِي الحُقُولِ الَّتِي نَظَرَ نَفْسَهُ لِلاِسْتِغْلَالِ فِيهَا، وَاثْرَاهُ لِلْفِكْرِ الإِنْسَانِيِّ وَالحَيَاةِ البَشَرِيَّةِ بِشَكْلِ لَا يُمَكِّنُ تَجَاهُلَهُ، مَعَ التَّنْبِيهِ إِلَى ضَرُورَةِ وَضْعِ أَفْكَارِهِ دَائِمًا عَلَى مُشْرَحَةِ السُّؤَالِ وَإِخْضَاعِهَا لِنَظَرِهِ نَقْدِيَّةٍ فَاحِصَةٍ وَمِنْ ثَمَّ البِنَاءِ عَلَيْهَا لِتَوَلِيدِ أَفْكَارِ

¹ مرجع سابق، زينب المعادي، الجسد الأنثوي وحلم التنمية، ص 23، 24

جَدِيدَةٌ مُسْتَلْهِمَةٌ مِنْ قِيَمِ الْبَيْئَةِ الَّتِي نَعِيشُ فِيهَا بَدَلًا مِنْ تَقْدِيرِهَا كَأَنَّهَا وَحْيٌ صَادِرٌ عَنِ الْآلَةِ
مُنَزَّرَةٌ عَنِ الْخَطَا أَوْ التَّسْلِيمِ طَوْعًا بِهَا كَأَنَّهَا مُسَلِّمَاتٌ يَقِينِيَّةٌ لَا يُمَكِّنُ لِمُطَرِّقَةِ النَّقْدِ أَنْ
تَحَدَّثَ فِيهَا صُدُوعًا. فَأَيُّ مُفَكِّرٍ أَوْ مُتَّفَقٍ هُوَ بِالضَّرُورَةِ ابْنُ بَيْئَتِهِ وَمَرْبُوطٌ بِحَبْلِ سَرَى إِلَى
الرَّجْمِ الَّذِي نَبَتَ فِيهِ وَتَشْرَبُ مِنْ أَفْكَارِهِ وَقِيَمِهِ وَمَبَادِيئِهِ وَتَقَاتِهِ وَأَخْلَاقِهِ.

قَدْ يَشْفَعُ لَهُ عَقْلُهُ بِغُرْبَتِهَا وَاخْتِيَارُ الْأَصْلَحِ وَقَدْ يَخُونُهُ وَيُسَلِّمُ أَمْرَهُ لِمَا أَلْفِهِ. هَذَا التَّنَاقُضُ
الَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَ الْعَبْقَرِيَّةِ وَالْفِكْرِ الْمُتَعَالِي مِنْ جِهَةٍ وَالْإِنْحِطَاطِ الْأَخْلَاقِيِّ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى
يَحْتَاجُ فِعْلًا إِلَى دِرَاسَاتٍ لِفَهْمِ هَذِهِ الْعِلَاقَةِ، لَكِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَيْسَ مَكَانًا فِي هَذَا الْعَمَلِ.

2. لَيْسَ دُورُ الْمُتَّفَقِ عِنْدَ "فَوَكَّو" أَنْ يَقُولَ لِلْآخِرِينَ مَاذَا يَتَّعِنُ عَلَيْهِمْ فِعْلُهُ، إِنَّمَا يُمَكِّنُ
عَمَلُهُ فِي التَّحَالِيلِ وَالْحَفَرِيَّاتِ الَّتِي يَقُومُ بِهَا لِمَيَّادِينِ هِيَ مَيَّادِينُهُ، وَفِي إِعَادَةِ مَسَائِلِهِ
الْبُدِيهِيَّاتِ وَالْمُسَلِّمَاتِ وَرَعَزَعِهِ طُرُقُ الْعَمَلِ وَالتَّفْكِيرِ كَمَا يَكْمُنُ دَوْرُهُ فِي تَبْدِيدِ الْأَوْهَامِ
وَالْأُمُورِ الْمَأْلُوفَةِ وَإِعَادَةِ النَّظَرِ فِي الْقَوَاعِدِ مَعَ الْمُسَاهَمَةِ انْطِلَاقًا فِي عَمَلِيَّةِ إِعَادَةِ إِشْكَالِهِ
الَّتِي يُؤَدِّي فِيهَا وَظِيْفَتِهِ النَّوْعِيَّةَ لِإِعْتِبَارِهِ مُتَّفَقًا...

3. وَهَذَا مَا جَسَدَهُ "فَوَكَّو" حَيْثُ أَبْتَعَدَ فِي مَشْرُوعَةِ التَّقْدِيرِ عَنِ التَّأثيرِ الْعَاطِفِيِّ فِي تَحْلِيلِ
هَذِهِ الْإِشْكَالِيَّاتِ فَقَدْ اتَّبَعَ مَنَاحِي عِلْمِيَّةَ مُحَدَّدَةٍ وَمَنْطِقِيَّةَ فِي التَّفْكِيرِ التَّقْدِيرِيِّ فِي تَحْلِيلِهِ
لِظَوَاهِرِ السُّلْطَةِ، الْإِنْسَانِ، الْجَسَدِ، تَنَصُّفِ فِلْسَفَتِهِ بِالْحَيَوِيَّةِ وَالْقُدْرَةِ الدَّائِمَةِ عَلَى النَّقْدِ
وَالتَّطْوِيرِ وَالْإِضَافَاتِ وَالشُّرُوحَاتِ.

كَتَبَ "فَوَكَّو" أَعْمَالَهُ بِأَسْلُوبٍ مُتَمَيِّزٍ فَتَعَامَلَ مَعَ الْفِلْسَفَةِ مِنْ جَانِبٍ أَنَّهَا كِتَابِيَّةٌ لَا بِإِعْتِبَارِهَا
مُجَرَّدُ بَحْثٍ نَظَرِيٍّ أَوْ نَسَقٍ مَعْرِفِيٍّ، طَبْعًا الْفِيلْسُوفُ لَمْ يَكْتُبْ بِأَسْلُوبِ بِلَاغِيٍّ وَلَا بِمَنْطِقِ
الِاسْتِدْلَالِ الْمَحْضِ عَلَى طَرِيقَةِ الْقُدْمَاءِ وَلَا بِعَقْلَانِيَّةِ مَوْضُوعِيَّةٍ مُسْتَحِيلَةٍ وَمِنْ هُنَا تَوَجَّهَ
"فَوَكَّو" إِلَى فَتْحِ الْمَفْهُومِ عَلَى الْجَسَدِ.

إِذَا كَانَ الْبَعْضُ يَرَى أَنَّ فُلْسَفَةَ "فوكو" هِيَ بِمِثَابَةِ نَظَارَاتِهِ الَّتِي يَرَى مِنْ خِلَالِهَا الْوَاقِعَ وَالْحَيَاةَ، فَهَذَا يُعَكِّسُ بِأَنَّ فِكْرَهُ يُدْرَجُ فِي خَانَةِ الْمَنْهَجِ أَكْثَرَ مِمَّا هُوَ فُلْسَفَةٌ. الْجَانِبُ الْمَنْهَجِيُّ يَكَادُ يَكُونُ طَاعِيًا عَلَى فُلْسَفَتِهِ رُبَّمَا هَذِهِ مَيِّزَةُ الْفُلْسَفَةِ الْمَابَعَدِ حَدَاثِيهِ.

ظَلَّ "فوكو" فِي حَيَاتِهِ وَحَتَّى بَعْدَ مَمَاتِهِ وَاحِدًا مِنَ الْمَعِ الْعُقُولِ وَأَدَهَاهَا فَقَدْ خَرَجَتْ أَفْكَارُهُ وَتَصَوُّرَاتُهُ بِنُعُومَةٍ مِنْ دَوَائِرِ الْمُسْتَهْلِكِ وَالْمُفَكِّرِ فِيهِ لِتَطَّلَ عَلَى ذَلِكَ الشَّيْءِ الْمُتَبَسِّ وَالْمُبْهَمِ وَاللَّامِعُقُولِ الَّذِي ظَلَّ سِرًّا يَخْتَصُّ بِهِ الْفَيْلَسُوفُ حَتَّى بَعْدَ رَحِيلِهِ بِعُقُودٍ، فَهُوَ لَا يَزَالُ يُمَارِسُ حَرَكَةَ تَأْثِيرِيَّةً بِمَا يَنْشُرُ لَهُ مِنْ حِينِ إِلَى آخَرَ، فَهُوَ بِمِثَابَةِ الطَّيْفِ كَمَا نَجِدُهُ مَفْهُومًا لَزَجًا يَتَعَدَّرُ ضَبْطُهُ وَالْقَبْضِ عَلَيْهِ، يُمَارِسُ هَوَايَتَهُ الْمَفْضَلَةَ بِالنَّسْلِ هَذِهِ الْمَرَّةَ إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ لِيُمِيطَ اللَّثَامَ عَنِ سَجَّالَاتِ فِكْرِيهِ عَلَى قَدْرِ كَبِيرٍ مِنَ الْأَهْمِيَّةِ مُتَرَدِّدَةً بَيْنَ الْجِنْسَانِيَّةِ أَوْ الْأَخْلَاقِ الطَّبِيَّةِ أَوْ السِّيَاسَةِ، نُضِيفُ لَهُ تَصَوُّرَاتِهِ عَنِ التَّفْكِيرِ اللَّيْبِرَالِيِّ الْجَدِيدِ وَالتَّكْنُولُوجِيَّاتِ الْحُكُومِيَّةِ وَمُخْتَلَفِ الْبَنِي التَّحْتِيَّةِ لِلْمُؤَسَّسَاتِ الَّتِي تَسُوسُ طَبِيعَةَ الْفِرِّ دَانِيَّاتٍ قَسْرًا أَوْ قَهْرًا أَوْ تَنْكِيلاً، الْمُرَاقَبَةِ وَالْمُعَاقَبَةِ.

استنتاج: يعد "ميشيل فوكو" أحد مؤسسي فلسفة للجسد، الفرع المعرفي الهام في إطار العلوم الاجتماعية والإنسانية وربما المؤسس الأهم لذلك، تتحدد أهمية "فوكو" في أنه أعاد الجسد مرة أخرى إلى قلب العلوم الاجتماعية الإنسانية بعد أن أطاح به "ديكارت" منذ القرن السابع عشر خارج دائرة اهتمام العلوم الإنسانية والفلسفة.

خَاتِمَةُ الْبَحْثِ

يُنْتَمِي هَذَا الْبَحْثُ إِلَى حَقْلِ فُلْسَفَةِ مَا بَعْدَ الْحَدَاثَةِ، يَرْكُزُ مَضْمُونُهُ عَلَى رُؤْيَا جَدِيدَةٍ، قَائِمَةٍ عَلَى التَّحْلِيلِ الْمَوْضُوعِيِّ لِتَارِيخِ وَمَفْهَمِهِ فِكْرَةِ الْجَسَدِ، مُتَجَاوِزًا النُّظْرَةَ الْقَائِمَةَ عَلَى الْمُقَارِنَاتِ الْكَلَّاسِيكِيَّةِ، إِلَى رُؤْيَا جَدِيدَةٍ تَنْسَجِمُ مَعَ الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ، قَائِمَةً عَلَى نَقْدِهِ لـ "ثَنَائِيَّةِ الْعَقْلِ" وَالْجَسَدِ وَمُوَاجَهَتِهِ لـ "نَيْشَه" وَمِيرْلوبونتي، "قَدِيمِ" "فُوكُو" نَظْرَتَهُ لِلْجَسَدِ، مِنْ خِلَالِ طَرَحِهِ مَجْمُوعَةً مِنَ الْأَفْكَارِ الْمُعَاصِرَةِ عَلَى الْعَكْسِ مِمَّنْ سَبَقُوهُ، مَسْتَمِدًّا مَعْلُومَاتِهِ مِنْ مَصَادِرِهَا الرَّسْمِيَّةِ وَمِنْ تَحْلِيلَاتِهِ، مُسْتَعْمَلًا أَدَاتَيْنِ مَنُهَجَيْنِ لِلْغُوصِ وَالتَّنْقِيبِ لِمَعْرِفَةِ

حَقِيقَةُ الْجَسَدِ، فَضْلًا عَنِ مُمَاحِظَاتِهِ وَمُنَاقَشَاتِهِ وَمُوجَاهَاتِهِ الْمُتَعَدِّدَةِ، مُعِيدًا الْجَسَدَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى قَلْبِ الْعُلُومِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ بَعْدَ أَنْ أَطَاحَ بِهِ دِيكَارْت.

إِنَّ التَّفْكِيرَ مَعَ "فوكو" نَوْعٌ مِنَ السَّفَرِ إِلَى عَالِمٍ جَدِيدٍ وَكَشَفَ عَنِ وَاقِعِ رَاهِنِ عَايشِهِ الْإِنْسَانَ الْمُعَاصِرِ، يَسِيرُ بِخُطَى عَمِيَاءِ نَحْوِ تَقْلِيدِ وَلِبَاسِ، يُصَوِّرُ بِأَنَّهُ قِنَاعٌ جَمِيلٌ، يَجْعَلُ الْإِنْسَانَ يَعْيشُ تَوْتِرَ يُبْعِدُهُ عَنِ الْوَاقِعِ الْحَقِيقِيِّ، فَلَا بُدَّ مِنْ اسْتِثْمَارِ قُوَى الْجَسَدِ الْفَاعِلَةِ لِتَطْوِيرِ نَمَطِ الْحَيَاةِ. "فوكو" أَدْخَلْنَا فِي لَعِبِهِ لَعْوِيَّةَ مُتَمَعَةٍ، مُلْتَزِمًا حُدُودَ مَشْرُوعَةٍ.

إِذَا كَانَتْ الْفَلَسَفَةُ الْمُعَاصِرَةُ فِي سِيَاقِهَا حَاوَلَتْ أَنْ تَبْحَثَ فِي قِيمَةِ الْجَسَدِ وَمَكَانَتِهِ، بِقَدْرِ مَا اهْتَمَّتْ بِالتَّامُّلِ وَالتَّنْظِيرِ، فَإِنَّ الْجَسَدَ "الْفُوكَوِي" أَصْبَحَ فِي مَوْجِعِ مُرَاقِبِ وَخَاضِعِ لِلتَّصْحِيحِ الْمُضْنِيِّ الْمُسْتَمِرِّ مِنْ خِلَالِ الضَّبْطِ وَالتَّنْظِيمِ وَتَطْبِيقِ الْمَعْرِفَةِ الْفِكْرِيِّ.

لَمْ يَعْضُ "فوكو" جَسَدًا وَاحِدًا، بَلْ أَجْسَادًا مُتَنَوِّعَةً: مَرِيضَةٌ وَصَحِيَّةٌ، جَسَدًا بِرِجَوَازِيَا، وَجَسَدًا الطَّبَقَةِ الْعَامِلَةِ، جَسَدًا مُفْرَدًا، وَعِدَّةُ أَجْسَادٍ. إِنَّهَا أَجْسَادُ السَّاكِنَةِ، كُلُّ هَذِهِ الْأَجْسَادِ سَتَدْخُلُ فِي عِلَاقَاتِ سُلْطُوْبِهِ وَتَغْرِسَ ضَمَنِ مَجَالِ سِيَاسِيٍّ.

صَحِيحٌ أَنْ الْجَسَدَ قَدْ تَحَرَّرَ خِلَالَ فَنَزَةِ الْحَدَاثَةِ، إِلَّا أَنَّهُ أَصْبَحَ الْيَوْمَ مُسَخَّرًا لِخِدْمَةِ اللَّيْبَرَالِيَّةِ، وَمُسْتَعْلًا وَمُسْتَلَبًا مِنْ طَرَفِ الْمُجْتَمَعِ الرَّأْسِمَالِيِّ، أَضْحَى أَدَاةَ طَيِّعَةٍ لِلْعَمَلِ وَالزِّيَادَةِ الْقُصْوَى فِي الْإِنْتِاجِ وَالِاسْتِهْلَاقِ.

نَخْلُصُ بِقِنَاعَةِ مُفَادَهَا:

أولاً: أَنَّ "فوكو" وَظَّفَ الْجَسَدِ فِي لَعِبِهِ السُّلْطَةَ "كَمَوْضُوعٍ وَهَدَفٍ لِلسُّلْطَةِ"، هَذِهِ الْفِكْرَةُ التَّأْسِيسِيَّةُ لِلْجَسَدِ تَحِيلُنَا إِلَى الْوَاقِعِ الرَّاهِنِ، الْمَقْصُودُ قَمْعُ السُّلْطَةِ الْإِنْتِفَاضَاتِ الطَّلَابِيَّةِ فِي الْجَامِعَاتِ الْأَمْرِيكِيَّةِ وَالْأُورُوبِيَّةِ الْمُتَضَامِنَةِ مَعَ الْقَضِيَّةِ الْفِلَسْطِينِيَّةِ اِحْتِجَاجًا عَلَى الْإِبَادَةِ الْجَمَاعِيَّةِ لِلْفِلَسْطِينِيِّينَ فِي "غزة"، اِثْرَ عَمَلِيَّةِ "طُوفَانِ الْأَقْصَى" 07/أَكْتُوبَرِ/2023م.

ثانياً: حاول "فوكو" إيجاد تصوّر يستند على تنزيل الجسد مباشرةً في المجال السياسي
نظرها برسم الاشتغال عليها كمواضيع بحوث مستقبلية، مسألتين:

كيف يرتبط الجسد بالسياسة كتقنيه لتنظيم الواقع الإنساني؟ إلى أي مدى يتمّ توظيف
الجسد في لعبه السلطة؟ وما هي الأسباب التي جعلت من الجسد ممثلاً، ومُجبراً على
أن يكون صامتاً؟

هل الممارسات التي يخضع لها الجسد تُعبّر صراحةً عن الاستثمار السياسي للجسد
وإستخدامه الإقتصادي بوصفه قوة إنتاج؟

وشكراً

المصادر والمراجع

القران الكريم

1. المصادر:

أولاً: قائمة مصادر الفيلسوف "ميشيل فوكو"

1. "ميشيل فوكو": الكلمات والأشياء، مركز الإنماء القومي بيروت 1989 م 1990م

2. "ميشيل فوكو": المعرفة والسلطة، عبد العزيز العيادي، المؤسسة الجامعية للدراسات

والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى بيروت 1994م

3. "ميشيل فوكو": حفريات المعرفة، ترجمه سالم يفوت، الطبعة الثانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، بيروت لبنان 1987م
4. "ميشيل فوكو": الانهماج بالذات، جماليه الوجود وجراه قول الحقيقة، ترجمه وتقديم محمد زويته، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب 2015م
5. ميشيل فوكو: تاريخ الجنسانيه أراداه المعرفة، مركز الإنماء القومي، ترجمة مطاع صفدي وجورج أبي صالح، لبنان بيروت، 1990م
6. "ميشيل فوكو": المراقبة والمعاقبة ولادة السجن، مركز الإنماء القومي ترجمه علي مفاد ومطاع صفدي، لبنان بيروت 1990م
7. "ميشيل فوكو": يجب الدفاع عن المجتمع، ترجمه الزواوي بغوره دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت 1997 الطبعة الأولى 2003م
8. فوكو صحافيا أقوال وكتابات: ترجمه البكاي ولد عبد المالك، جداول للنشر والتوزيع الطبعة الأولى، بيروت لبنان 2012 م
9. عن الطبيعة الإنسانية، مناظره بين، نعوم تشومسكي وميشيل فوكو: جون راكمان، ترجمه أمير زكي دار التنوير للطباعة والنشر، تونس الطبعة الأولى 2015م
10. . "ميشيل فوكو"، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ترجمه سعيد بن كراد، المراكز الثقافية العربي ط 1 2006 م
11. "ميشيل فوكو"، تاريخ الجنسانية، إزادة العرفان، المجلد 1، ترجمه محمد هاشم، أفريقيا الشرق 2004 م
12. ميشيل فوكو: المراقبة والمعاقبة - ولادة السجن، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط 1، 1990

13. ميشيل فوكو: نظام الخطاب، التنوير، ترجمة محمد سبيلا، دون تواريخ...

ثانيا: قائمة المراجع...

1. فلسفه الجسد: سميحة بيدوح دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، 2009 م
2. الجسد والايديولوجيا قراءه نقدية: عمر صوفي، شعله الإبداع للطباعة والنشر 2022 م
3. الفلسفة في الجسد، الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي: عبد المجيد جحفة جورج لايكوف، مارك جونسون، ترجمه عبد المجيد جحفة، دار الكتاب الجديد المتحدة الطبعة الأولى 2016م
4. مُحَمَّدٌ عَلَى الْكُرْدِيِّ، نَظَرِيَّةُ الْمَعْرِفَةِ وَالسُّلْطَةِ، عِنْدَ "مِيشِيلِ فُوكُو"، دَارُ الْمَعْرِفَةِ الْجَامِعِيَّةِ، الْإِسْكَنْدَرِيَّةَ 1992م
5. أَفْلَاطُون، مُحَاوَرَةٌ فَيْدُون (فِي خُلُودِ النَّفْسِ) تَرْجَمَةٌ عَزَّتْ قَرْنِي، دَارُ قُبَاءِ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيْعِ، الْقَاهِرَه ط3 2002 م .
6. جون روب وأوليفر ج. ت. هاريس: تاريخ الجسد - أوروبا من العصر الحجري القديم إلى المستقبل، ترجمة: 3. جمال شرف، الرافدين، بيروت، ط1، 2018
7. محمد الحامدي: مقدمة في سوسيولوجيا الجسد: تقاطع الثقافات وتنازع الهويات، مجلة إضافات، العدد: 40، لخريف 2017م
8. سامي محمد عبد العال: فلسفة الجسد الافتراضي - تحولات العلاقة بين الجسد والسلطة، كلية الآداب، قسم الفلسفة، شعبة الدراسات النفسية والاجتماعية، جامعة الزقازيق، ط1، 2014م

9. فؤاد إسحق الخوري: إيديولوجيا الجسد - رموزية الطهارة والنجاسة، دار الساقى، بيروت، ط1، 1997م

10. المهدي أكزول: الجسد رأسملاً احتجاجياً: تأملات سوسولوجية في الدوافع الذاتية للاحتجاج، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد: 05، العدد: 02، 2020م

11. ابن المنظور: لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ

12. عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الجزء الأول، ط1، 1984م

13. أندريه لالاند: موسوعة لالاند A-G، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1993م

14. فريد الزاهي: الجسد والصورة والمقدس في الإسلام، أفريقيا الشرق، بيروت، ط1، 1999م

15. موريس ميرلوبونتي: العين والعقل، ترجمة: حبيب الشاروني، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1، بدون تاريخ

16. لاتي حاج أحمد: مكانة الجسد في الفلسفة الغربية (موريس ميرلوبونتي)، سلسلة الأنوار، المجلد: 12، العدد: 01، جامعة وهران، 2022م

19. خديجة تباري: سوسولوجيا الجسد عند بيير بورديو - الجسد والرياضة وسلطة الهابيتوس، سلسلة الأنوار، الجزائر، المجلد: 13، العدد: 01، 2023م

20. انظر عمر عبد الجبار محمد أحمد: دراسات في علم اجتماع الجسد، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط1، 2020

21. عبد العزيز احرييل: سوسيولوجيا الجسد (1) قراءة دلالية في مفهوم الجسد، الحوار المتمدن، العدد: 4687، 01/10 /2015 www.ahewar.org/debat/show.art2015 .
22. دافيد لوبروتون: انثروبولوجيا الجسد والحدائث، ترجمة: محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1997م
23. دافيد لو بروتون: سوسيولوجيا الجسد، ترجمة: عياد أبلال وإدريس المحمدي، روافد للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2013م
24. يحيوي عبد القادر: الجسد كسلطة عند ميشال فوكو، مجلة الكلمة، 2019/06/06م <http://kalema.net/home/article/print/1451>
25. خطاب ومولاي مراد الحاج: الجسد موضوعاً للدراسات الثقافية: استقراء لأهم الإشكالات والمنجزات،
26. حسام الدين فياض: حول ماهية الجسد: قراءة تأصيلية في السوسيولوجيا الغربية المعاصرة، أغسطس 2023م
27. هاشم صالح: بين مفهوم الأرتوذكسية والعقلية الدوجمائية ، مقدمة الترجمة العربية لكتاب محمد أركون ، الفكر الإسلامي : قراءة علمية ، مركز الإنماء العربي، بيروت، 1996م
28. ميشيل فوكو: حفريات المعرفة ، ترجمة سالم يفوت ،المركز الثقافي العربي، بيروت ، الدار البيضاء، 1987م
29. عبد الرزاق الدواي موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت. (1992م)

30. عبد العزيز العيادي: ميشيل فوكو: المعرفة والسلطة ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1994م
31. دريفوس ورايينوف: ميشيل فوكو: مسيرة فلسفية، ترجمة جورج أبي صالح، مركز الإنماء العربي ، بيروت، (د.ت)
34. حسن المصدق البيولوجيا السياسية بين سلطة المعرفة ومعرفة السلطة، جريدة العرب الدولية، لندن، 7، 26، 2007م.
35. زينب المعادي الجسد الأنثوي وحلم التنمية: قراءة في التصورات عن الجسد بمنطقة الشاوية، غير مبين دار النشر. 2004م
36. الجسد المقموع: قراءة في فلسفة ميشيل فوكو - حسني إبراهيم عبد العظيم، 13 نوفمبر، 2019م الحوار المتمدن-العدد: 3355 - 2011 / 5

فهرس المحتويات

مقدمة

الفصل الأول: التأسيس المنهجي لفكرة الجسد "رؤية منهجية"

تمهيد:

المبحث الأول: الإطار التاريخي لفكرة الجسد "رؤية تاريخية"

المبحث الثاني: الإطار التجريدي لفكرة الجسد "رؤية فلسفية"

المبحث الثالث: مناهج وأدوات عملية التحليل "رؤية فوكويه"

استنتاج:

الفصل الثاني: التأصيل الفكري لفكرة الجسد "رؤية فوكويه"

تمهيد:

المبحث الأول: تحليل "فوكو" لفكرة الجسد "رؤية فوكويه"

المبحث الثاني: آليات إخضاع الجسد "رؤية فوكويه"

المبحث الثالث: نقد ومناقشة وتقييم "رؤية شخصية"

استنتاج:

خاتمه

المصادر والمراجع

ملخص البحث

تناولت في هذه الدراسة التحليلية لفكرة الجسد عند "ميشال فوكو" في الفلسفة الغربية المعاصرة، أبرزت فكره الجسد وتفكيك المفارقات المتعددة التي أحاطت بصيغته وجوده. مرت فكرة الجسد عبر تاريخ الفكر الفلسفي بالعديد من السجلات، منذ الفلسفة اليونانية حتى يومنا هذا، اختلفت الروي والتصورات من فيلسوف إلى آخر وصولاً لـ "فوكو"، الذي قدم لنا رؤية فلسفية جديدة للجسد في ظل ما يحدث من تغيرات ثقافية واجتماعية وتكنولوجية في العالم، وما آل إليه هذا الجسد في العصر

الرَّاهِن. عُرِفَ بِعَصْرِ الْجَسَدِ بِامْتِيَاذٍ. قَدِيمٌ "فَوَكُو" رُؤْيُهُ شَامِلَةٌ، عَمِيقَةٌ لِلْجَسَدِ وَمَا يَتَّعَلَقُ بِهِ مِنْ مَوَاضِيَعِ
ذَاتِ أَهْمِيَّةٍ تَمَّ إِهْمَالُهَا عَلَى امْتِدَادِ الْفِكْرِ الْفَلْسَفِيِّ.

Research Summary.

In this analytical study, she discussed the idea of the body according to Michel Foucault in contemporary Western philosophy, highlighting the idea of the body and the deconstruction of the word The many subtleties that surrounded the form of his existence. The idea of the body has gone through many debates throughout the history of philosophical thought. From Greek philosophy until the present day, narratives and perceptions have differed from one philosopher to another, all the way to Foucault, who presented to us a vision of philosophy A new way for the body in light of the cultural, social, and technological changes taking place in the world, and the implications for this body in the current era. He was known as the era of the body par excellence. Foucault presented a comprehensive, profound vision of the body and the important topics related to it that have been neglected throughout philosophical thought

الكلمات المفتاحية

ميشيل فوكو، الجسد، الجينيات، الاركيبولوجيا، الجنسانية، المتع، السلطة.